ملخص البحث

يعد الصوت هو الأساس التي تقوم عليه كلمات اللغة، وقد عُني علماء اللغة قديما وحديثا بالصوت في مراحله المختلفة، خاصة في مرحلة النطق (الإنتاج)، ثم مرحلة انتقاله عبر الوسيط (الهواء)، حتى يصل في مرحلته الأخيرة لأذن المستمع، وهي مراحل تحدث بشكل تلقائي، وكان جانب النطق- أو ما يعبر عنه حديثا بعلم الأصوات النطقي- أهم هذه المراحل كلها؛ لأنه يهتم بطريقة النطق الصحيحة للصوت في حالتيه الإفرادية والتركيبية، من حيث المخرج والصفة، فالمخرج يميز حيز الصوت عن غيره من الأصوات، والصفة تسم الصوت بسمة خاصة؛ حتى لا يتداخل مع غيره من الأصوات.

والصوت في مادته الخام أو في حالته المنفردة من خلال صورته النطقية المثالية، لا يتأثر مخرجه ولا صفته؛ بل يخرج واضحا صريحا دون لبس، ولكنه في حالته التركيبية حينما يتجاور في كلمة ما مع بعض الأصوات، قد يحدث نوع من التأثير في مخرجه وصفته بدرجات متفاوتة؛ فالصوت المجهور قد يؤثر على مجاوره المهموس، فيصبح مجهوراً مثله، كما في السين والباء في كلمة (أسبوع) التي تصبح (أزبوع)... وقد يحدث العكس كما في بعض صور نطقنا لكلمة (مجتمع)، الذي تتحول فيه (الجيم) المجهورة إلى صوت مهموس هو (الكاف) أو ما يقرب منه.

وعند التفتيش في تراثنا الثر والتعمق فيه نجد أنه لم يهمل جانبا من هذه الجوانب المتعلقة بالدرس الصوتي، وكان لعلماء العربية الأوائل دور بارز في تجلية كل ما يتعلق بالصوت من كل جوانبه، واجتهدوا اجتهادا كبيرا في ذلك؛ حرصا منهم على سلامة أصوات العربية من اللحن والانحراف، وكان لعلماء التجويد بشكل خاص- دور كبير في هذا؛ لأنهم كانوا معنيين بوضع ضوابط صارمة وثابتة لتلاوة القرآن الكريم، والذي كان له الفضل الأوحد في حفظ أصوات العربية دون تغيير؛ حيث تناقله العلماء والقراء بشكل نظري وعملي جيلا بعد جيل، دون خلل أو انحراف، برغم اختلاف الزمان والمكان.

وقد كان اختيارنا لواحد من هؤلاء؛ وهو الإمام عبدالوهاب بن محمد القرطبي(ت٤٦١هـ). صاحب كتاب (الموضح في التجويد)، وكان الدافع لاختيار هذا الكتاب عدة أمور منها:

- احتواؤه على مادة علمية ثرة ومتعمقة في دراسة أصوات العربية، وما يتعلق بها من أحكام تجويدية وصوتية، تتعلق بالنص القرآني.

- انتماء مؤلفه- مكانا- إلى الأندلس، وكان لعلماء الأندلس أسلوب مميز في الدرس اللغوي بشكل عام، وانتماؤه- زمانا- إلى القرن الخامس الهجري، وهو القرن الذي شهد علماء أفذاذا في شتى مجالات العلم؛ خاصة علم العربية...

- قلة شهرة هذا الكتاب وصاحبه؛ خاصة إذا قورن بعلماء اللغة، أو حتى علماء التجويد؛ الذين عاصروه كالإمام أبي عمرو الداني(ت

٤٤٤هـ) ، أو مكي بن أبي طالب(ت ٤٣٧هـ. أو الذين جاءوا بعده كالإمام ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) صاحب كتاب (التمهيد في علم التجويد). فضلا عن كونه من الكتب التراثية المهمة، التي اهتمت بمسائل علم الأصوات وقضاياه، على الرغم من اختصاصه بتجويد القرآن، وكذلك احتواؤه على ملاحظات وإشارات صوتية دقيقة، منها هذا الموضوع محل البحث؛ حيث خصص الباب الثاني من أبواب كتابه لمعالجة الصوت في حالة ائتلافه وتجاوره مع غيره، وعنونه بقوله:" في ما يعرض في هذه الحروف من الأحكام عند ائتلافها وتركبها ألفاظا. وتحدث فيه بشكل خاص عما أطلق عليه " شوائب الحروف" وهو مصطلح انفرد به القرطبي ... وهو ما سيقف معه البحث بالدراسة.

<u>وينطلق هذا البحث من تساؤل رئيس</u> وهو: هل يمكن أن يتأثر مخرج الصوت أو تتأثر صفته المميزة له بسبب تجاوره لبعض الأصوات دون بعض؟ وهل يمكن أن تنشأ أخطاء صوتية عن هذا الأمر، تخرج الصوت عن خاصية نطقه؟ أو ما عبر عنه عبد الوهاب القرطبي بشوائب الحروف، وهل كان لعلماء الأصوات العرب دور في تجلية هذا الأمر؟

وسيحاول البحث الإجابة عن هذا التساؤل من خلال دراسة متأنية في كتاب الموضح في التجويد لعبدالوهاب القرطبي؛ وفق منهج وصفي تحليلي مؤصلا وموثقا لهذه الظاهرة، ومعضدا لما رآه عبد الوهاب القرطبي بآراء اللغويين وعلماء التجويد؛ للوقوف على مدى اهتمام علمائنا الأوائل بدقائق الدرس الصوتي، والتعمق في أبعاده النطقية؛ خاصة في جانبه التركيبي والسياقي.

<u>وتكمن أهمية هذا البحث</u> في محاولة استجلائه للصورة النطقية للصوت اللغوي في حالته التركيبية، ومدى تغير هذه الصورة من موضع لآخر بحسب التجاور الصوتي، وفق ما يعرف بالتأثير والتأثر، أو المماثلة الصوتية بتعبير اللغوين المحدثين لهذه الظاهرة، وما ينشأ عنها من أخطاء في نطق الأصوات، وأيضا تسليطه الضوء على الجهود العميقة والدقيقة والإشارات العبقرية لتراثنا العربي وعلمائه، على الرغم من إمكانات عصورهم المتواضعة إذا ما قورنت بإمكانات العصر الحديث، خاصة عبد الوهاب بن محمد القرطبي صاحب كتاب الموضح في التجويد. وهو محل هذه الدراسة.

ويهدف البحث في النهاية إلى بيان:

- أثر التجاور الصوتي في مخرج الصوت وصفته.
- مدى عناية علمائنا الأوائل بالدرس الصوتي، ووصولهم إلى نتائج وأحكام صوتية لا تقل دقة عما وصل إليه الدرس الصوتي الحديث.
- إشارات عبد الوهاب القرطبي وجهوده في استجلاء آثار التجاور الصوتي من خلال كتابه: الموضح في التجويد.

Research Summary
The sound is the basis on which the words of the language are based, and linguists in ancient and modern times have been concerned with the sound in its various stages, especially in the stage of articulation (production), then the stage of its transmission through the medium (air), until it reaches in its final stage to the ear of the listener, which are stages that occur in a form. The pronunciation aspect - or what is recently expressed in phonology - was the most important of all of these stages; Because it is concerned with the correct way of pronouncing the sound in its singular and synthetic states, in terms of the output and the character, so the director distinguishes the sound space from other sounds, and the adjective characterizes the sound with a special feature; So as not to interfere with other sounds.
And the sound in its raw material or in its singular state through its ideal articulation, neither its director nor its quality is affected; Rather, it comes out clearly and frankly without ambiguity, but in its compositional state, when it adjoins a word with some sounds, some kind of influence may occur in its output and its description to varying degrees. The loud voice may affect its whispered neighborhood, so that it becomes loud like it, as in the Seine and Ba in the word (week) which becomes (spring) ... and the opposite may happen, as in some of our pronouncements of the word (community), in which the loudest (gym) turns into A whispered voice is (kef) or something close to it.
When inspecting our rich heritage and delving deeper into it, we find that it did not neglect one of these aspects related to the phoneme lesson, and the early Arab scholars had a prominent role in manifesting everything related to the sound in all its aspects, and they worked very diligently in that. Out of their concern for the integrity of the Arabic sounds from melody and deviation, the Tajweed scholars in particular - had a great role in this. Because they were concerned with setting strict and constant controls for reciting the Holy Qur'an, which had the sole merit of memorizing the Arabic sounds without change. As scholars and readers transmitted it theoretically and practically, generation after generation, without defect or deviation, despite the difference in time and place.

مقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من نطق بالعربية، أفصح العرب قاطبة وأبينهم قولا...

وبعد...

فالصوت هو الأساس التي تقوم عليه كلمات اللغة؛ حيث تتألف الكلمة من عدد من الأصوات، يتجاور بعضها بجوار بعض في نسق مترابط؛ لتتكون منها المفردات والتراكيب، التي تمثل اللغة في صورتها المادية، وتعبر عنها، وتميزها عن غيرها من اللغات.

لذلك عُني علماء اللغة قديما وحديثا بالصوت في مراحله المختلفة، خاصة في مرحلة النطق (الإنتاج)، ثم مرحلة انتقاله عبر الوسيط (الهواء)، حتى يصل في مرحلته الأخيرة لأذن المستمع، وهي مراحل تحدث بشكل تلقائي، وكان جانب النطق- أو ما يعبر عنه حديثا بعلم الأصوات النطقي- أهم هذه المراحل كلها؛ لأنه يهتم بطريقة النطق الصحيحة للصوت في حالتيه الإفرادية والتركيبية، من حيث المخرج والصفة، فالمخرج يميز حيز الصوت عن غيره من الأصوات، والصفة تسم الصوت بسمة خاصة؛ حتى لا يتداخل مع غيره من الأصوات.

والصوت في مادته الخام أو في حالته المنفردة من خلال صورته النطقية المثالية، لا يتأثر مخرجه ولا صفته؛ بل يخرج واضحا صريحا دون لبس، ولكنه في حالته التركيبية حينما يتجاور في كلمة ما مع بعض الأصوات، قد يحدث نوع من التأثير في مخرجه وصفته بدرجات متفاوتة.

فصوت(السين) مثلا يأتي في صور مختلفة في نطقنا: فهو أقرب إلى (الصاد) عندما يجاوره صوت مطبق- كالطاء- في كلمتي (سطح، وقسط)، وهو أقرب إلى (الزاي) إذا تلاه صوت مجهور، كما في الكلمة العامية (أزبوع): فقد أثرت الباء المجهورة على السين المهموسة بالاهتزاز فأصبحت (زاياً)؛ لأن الفرق بين السين والزاي: أن الأولى غير مهتزة والثانية مهتزة، وهكذا يمكن أن تختلف صورة الصوت اللغوي الواحد؛ باختلاف سياقاته... (١)

ذلك أن للأصوات علاقاتها كتلك التي بين الأفراد والأسر- على حد تعبير أستاذنا الدكتور: عبد العزيز علام- يؤثر القوي فيها على الضعيف، ويتأثر البعض بصفات غيره وخصائصه؛ فالصوت المجهور قد يؤثر على مجاوره المهموس، فيصبح مجهوراً مثله، كما رأينا في السين والباء في كلمة (أسبوع) التي تصبح (أزبوع)... وقد يحدث العكس كما في بعض صور نطقنا للكلمة (مجتمع)، الذي تتحول فيه (الجيم) المجهورة إلى صوت مهموس هو (الكاف) أو ما يقرب منه.

ولقد كان السياق سببًا في نشأة ظواهر لغوية تعرضت لها الأصوات؛ كالإدغام، والإبدال، والقلب، والحذف، والتقصير، والاختلاس، وما إليها؛ ومن هنا كانت دراسة الأصوات اللغوية في سياقاتها المتعددة والمتنوعة حقلا خصبًا لعلم

---

(١) ينظر: علم الصوتيات، د/ عبدالعزيز أحمد علام ، د/ عبدالله ربيع محمود (ص ٢٢). مكتبة الرشد. ناشرون، المملكة العربية السعودية. الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

الصوتيات، وعملا بنَّاء في مجال الدرس الصوتي؛ لأنه يمثل الوجود الحي للأصوات.[٢]

وعند التفتيش في تراثنا الثر والتعمق فيه نجد أنه لم يهمل جانبا من هذه الجوانب المتعلقة بالدرس الصوتي، وكان لعلماء العربية الأوائل دور بارز في تجلية كل ما يتعلق بالصوت من كل جوانبه، واجتهدوا اجتهادا كبيرا في ذلك؛ حرصا منهم على سلامة أصوات العربية من اللحن والانحراف، وكان لعلماء التجويد بشكل خاص- دور كبير في هذا؛ لأنهم كانوا معنيين بوضع ضوابط صارمة وثابتة لتلاوة القرآن الكريم، والذي كان له الفضل الأوحد في حفظ أصوات العربية دون تغيير؛ حيث تناقله العلماء والقراء بشكل نظري وعملي جيلا بعد جيل، دون خلل أو انحراف، برغم اختلاف الزمان والمكان.

وقد كان اختيارنا لواحد من هؤلاء؛ وهو الإمام عبدالوهاب بن محمد القرطبي(ت٤٦١هـ). صاحب كتاب (الموضح في التجويد)، وكان الدافع لاختيار هذا الكتاب عدة أمور منها:

- احتواؤه على مادة علمية ثرة ومتعمقة في دراسة أصوات العربية، وما يتعلق بها من أحكام تجويدية وصوتية، تتعلق بالنص القرآني.

- انتماء مؤلفه- مكانا- إلى الأندلس، وكان لعلماء الأندلس أسلوب مميز في الدرس اللغوي بشكل عام، وانتماؤه- زمانا- إلى القرن الخامس الهجري، وهو القرن الذي شهد علماء أفذاذا في شتى مجالات العلم؛ خاصة علم العربية، ولعل أهمهم الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) صاحب الرؤى اللغوية والبلاغية المتعمقة والمتعلقة بالنص القرآني، فضلا عن أن القرن الخامس الهجري يمثل التاريخ الحقيقي لظهور المؤلفات في علم التجويد، حتى إننا لنجد أعظم مؤلفات التجويد قد ظهرت في هذا القرن، ومن أشهرها كتاب (الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة) لمكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)، الذي أشار إلى أن أحدا من المتقدمين لم يسبقه إلى تأليف مثل هذا الكتاب[٣]، وكتاب (التحديد في الإتقان والتجويد) لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) الذي أشار فيه إلى ما يقرب من إشارة مكي عن كتابه[٤].

- قلة شهرة هذا الكتاب وصاحبه؛ خاصة إذا قورن بعلماء اللغة، أو حتى علماء التجويد؛ الذين عاصروه كالإمام أبي عمرو الداني(ت ٤٤٤هـ) ، أو مكي بن أبي طالب(ت ٤٣٧هـ) السابق ذكرهما. أو الذين جاءوا بعده كالإمام ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) صاحب كتاب (التمهيد في علم التجويد). فضلا عن كونه من الكتب التراثية المهمة، التي اهتمت بمسائل علم الأصوات وقضاياه، على الرغم من اختصاصه بتجويد القرآن، وكذلك احتواؤه على ملاحظات وإشارات صوتية دقيقة، منها هذا الموضوع محل البحث؛ حيث خصص الباب الثاني من أبواب كتابه لمعالجة الصوت في حالة ائتلافه وتجاوره

(٢) ينظر: علم الصوتيات أ. د/ عبدالعزيز أحمد علام أ .د/ عبدالله ربيع محمود (ص ٢٢) .

(٣) ينظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب (ص٥٢).

(٤) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، (ص١٩).

مع غيره، وعنونه بقوله:" في ما يعرض في هذه الحروف من الأحكام عند ائتلافها وتركبها ألفاظا[٥]. وتحدث فيه بشكل خاص عما أطلق عليه " شوائب الحروف" وهو مصطلح انفرد به القرطبي– على ما سنذكره خلال البحث– **ومن أمثلة ما ذكره عبد الوهاب القرطبي في ذلك؛ قوله:** "فأما حسن التخلص من دخول شوائب الحروف بعضها على بعض؛ فيكون التنبيه عليه بعد ذكر السبب الموجب له، فنقول: السبب في ذلك أن يجتمع حرفان امتاز أحدهما عن الآخر بمزية ما، إما بتفخيم أو إطباق أو تفش أو غير ذلك، مع إمكان تلك المزية فيه؛ لأن الحرف بسبب اتحاده مع ما جاوره يجذبه إلى حيزه، ويسلبه المزية الخاصة به، أو يدخل معه فيها، أو يحدث بينهما حرف يشبههما، والذي ينبغي أن يعتمده القارئ في ذلك حسن التخلص منه، بإفراد كل منهما بمزيته، والتعمل لإيراده بخاصته.[٦]

وهذا ما سيقف معه البحث بالدراسة، **وينطلق هذا البحث من تساؤل رئيس** وهو: هل يمكن أن يتأثر مخرج الصوت أو تتأثر صفته المميزة له بسبب تجاوره لبعض الأصوات دون بعض؟ وهل يمكن أن تنشأ أخطاء صوتية عن هذا الأمر، تخرج الصوت عن خاصية نطقه؟ أو ما عبر عنه عبد الوهاب القرطبي بشوائب الحروف، وهل كان لعلماء الأصوات العرب دور في تجلية هذا الأمر؟

وسيحاول البحث الإجابة عن هذا التساؤل من خلال دراسة متأنية في كتاب الموضح في التجويد لعبدالوهاب القرطبي؛ وفق منهج وصفي تحليلي مؤصلا وموثقا لهذه الظاهرة، ومعضدا لما رآه عبد الوهاب القرطبي بآراء اللغويين وعلماء التجويد؛ للوقوف على مدى اهتمام علمائنا الأوائل بدقائق الدرس الصوتي، والتعمق في أبعاده النطقية؛ خاصة في جانبه التركيبي والسياقي.

وتكمن أهمية هذا البحث في محاولة استجلائه للصورة النطقية للصوت اللغوي في حالته التركيبية، ومدى تغير هذه الصورة من موضع لآخر بحسب التجاور الصوتي، وفق ما يعرف بالتأثير والتأثر، أو المماثلة الصوتية بتعبير اللغوين المحدثين لهذه الظاهرة، وما ينشأ عنها من أخطاء في نطق الأصوات، وأيضا تسليطه الضوء على الجهود العميقة والدقيقة والإشارات العبقرية لتراثنا العربي وعلمائه، على الرغم من إمكانات عصورهم المتواضعة إذا ما قورنت بإمكانات العصر الحديث، خاصة عبد الوهاب بن محمد القرطبي صاحب كتاب الموضح في التجويد. وهو محل هذه الدراسة.

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تنتظم في مبحثين مسبوقين بتمهيد ومقدمة ومنتهيين بخاتمة. كما يلي:

التمهيد: عبد الوهاب القرطبي وكتابه الموضح في التجويد.

المبحث الأول: التجاور بين الأصوات وآثاره الصوتية.

---

(٥) الموضح في التجويد، عبد الوهاب بن محمد القرطبي(ص١٢٧) تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط: الأولى،١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.

(٦) الموضح في التجويد، عبد الوهاب بن محمد القرطبي (ص ١٧٧).

المبحث الثاني: (شوائب الحروف) ومعالجة عبد الوهاب القرطبي لآثار التجاور الصوتي.

ثم خاتمة البحث وفهارسه.

ويهدف البحث في النهاية إلى بيان:

- أثر التجاور الصوتي في مخرج الصوت وصفته.
- مدى عناية علمائنا الأوائل بالدرس الصوتي، ووصولهم إلى نتائج وأحكام صوتية لا تقل دقة عما وصل إليه الدرس الصوتي الحديث.
- إشارات عبد الوهاب القرطبي وجهوده في استجلاء آثار التجاور الصوتي من خلال كتابه: الموضح في التجويد.

نسأل الله تعالى أن يلهمنا الصواب والسداد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. السيد عبد الحليم مصطفى عبدالعال الشوربجي

التمهيد

عبد الوهاب القرطبي وكتابه الموضح في التجويد .....

أولا : عبد الوهاب القرطبي: حياته ومكانته العلمية

كان عبد الوهاب القرطبي من علماء الأندلس، ومن أعلام الدرس الصوتي في القرن الخامس الهجري، لكنه لم ينل شهرة واسعة؛ لذلك لم يتناول ترجمته إلا عدد قليل من كتب التراجم والطبقات(٧).

(٧) **تنظر ترجمته في:** الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: أبو القاسم ابن بشكوال (ص٣٦٢)، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني: مكتبة الخانجي، ط: الثانية، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م./ معرفة القراء الكبار: شمس الدين الذهبي (ص٢٥٣): دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م/ تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: شمس الدين الذهبي (١٥٨/١٠) تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف: دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى،٢٠٠٣م/ غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين ابن الجزري، (٤٨٢/١): مكتبة ابن تيمية: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجشتراسر/ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: شهاب الدين التلمساني (٦٣٧/٢) تحقيق: إحسان عباس: دار صادر- بيروت- لبنان. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة (١٧٧٠/٢) مكتبة المثنى- بغداد. الأعلام: خير الدين، الزركلي (١٨٥/٤) دار العلم للملايين ط: الخامسة عشر- مايو٢٠٠٢م. معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ: محمد محمد محمد سالم محيسن (٢/ ٢٧٤): دار الجيل- بيروت ط: الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

لقد عاصر القرطبي عددا كبيرا من العلماء سواء في علم التجويد- الذي كانت نشأته الحقيقية في هذا القرن الذي عاش فيه القرطبي- أم في غيره من العلوم، وكان منهم على سبيل المثال في التجويد: مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) صاحب المؤلفات في التجويد والقراءات، منها كتاب (الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة)، وأبو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) الذي لا يقل شهرة في التجويد والقراءات عن مكي بن أبي طالب، ومن كتبه (التحديد في الإتقان والتجويد)، وفي العلوم الأخرى على سبيل المثال: ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) صاحب كتاب (المحلى) في الفقه، ورائد الفقه الظاهري، وصاحب كتاب (طوق الحمامة)، وابن عبد البر، الفقيه المالكي (ت ٤٦٣ هـ). صاحب كتاب (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد)، وابن زيدون (ت: ٤٦٣هـ) الوزير الشاعر الأندلسي المعروف... وغيرهم.

اسمه: عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد القدوس الأنصاري، وكنيته أبو القاسم، ولقبه: القرطبي نسبة إلى مدينة قرطبة بالأندلس، وكان خطيبا بالمسجد الجامع بها.

مولده: وكان مولده باتفاق المصادر سنة (٤٠٣هـ)، وأصله من أشونة وهي حصن قريب من قرطبة.

وأما سنة وفاته؛ فقد ذكرت معظم المصادر التي ترجمت له: أنه توفي في شهر ذي القعدة من سنة إحدى وستين وأربعمائة، لكن ابن بشكوال ذكر أنه: "توفي رحمه الله في ذي القعدة لليلتين خلتا من الشهر سنة اثنتين وستين وأربعمائة. ودفن بمقبرة ابن عباس". (٨)

رحلاته العلمية وشيوخه:

بالرغم من مولده وإقامته بالأندلس؛ فإنه رحل إلى المشرق، وتتلمذ على شيوخها، ويلاحظ أن شيوخه كلهم من المشرق، وفي ذلك يقول ابن بشكوال:"ورحل إلى المشرق فحج وسمع بمكة: من أبي بكر محمد بن علي المطوعي وغيره. وسمع بدمشق: من أبي الحسن السمسار (ت ٤٣٣هـ)، وقرأ بها القراءات على أبي علي الحسن بن إبراهيم الأهوازي (ت ٤٤٦هـ)، وسمع بحران: من أبي القاسم الزيدي الشريف (ت ٤٣٣هـ). وبمصر: من أبي الحسن الحوفي (ت: ٤٣٠ هـ)، ومن أبي العباس بن نفيس (ت ٤٥٣هـ)، وبميافارقين(٩): من أبي عبد الله محمد بن أحمد الفارسي وغير هؤلاء. (١٠)

وأما تلامذته: فكانوا أندلسيين، منهم: أبو القاسم خلف ابن النحاس، وعلي بن أحمد بن كرز (ت ٥١١ هـ)، وأبو الحسن يحيى بن البياز (ت٤٩٦هـ) (١١).

---

(٨) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: أبو القاسم ابن بشكوال (ص٣٦٢).

(٩) مَيّافارِقِين: بفتح أوله، وتشديد ثانيه ثم فاء، وبعد الألف راء، وقاف مكسورة، وياء، ونون، أشهر مدينة بديار بكر. معجم البلدان، ياقوت الحموي (٥/ ٢٣٥).

(١٠) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: أبو القاسم ابن بشكوال (ص٣٦٢).

(١١) ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين ابن الجزري، (١/٤٨٢.)، معرفة القراء

منزلته العلمية:

قال عنه ابن بشكوال: كان: من جلة المقرئين، ومن الخطباء الحفاظ المجودين، عارفا بالقراءات وطرقها، حسن الضبط لها، وكانت الرحلة في وقته إليه(١٢).

وقال الذهبي: الأستاذ أبو القاسم القرطبي، مؤلف المفتاح في القراءات، ومقرئ أهل قرطبة.(١٣). **وقال عنه أيضا:** وكان من جلة المقرئين، ومن الخطباء المجودين؛ كَانَتِ الرحلة إليه فِي القراءات. ولي خطابة قرطبة، وصنف "المفتاح" فِي القراءات(١٤).

وقال ابن الجزري: مقرئ محرر أستاذ كامل متقن كبير رحال صاحب كتاب المفتاح في القراءات... قال أبو عبد الله الحافظ كان عجبًا في تحرير هذا الشأن ومعرفة فنونه.(١٥).

وقال صاحب كتاب نفح الطيب: وكان عجباً في تحرير القراءات ومعرفة فنونها(١٦).

مؤلفاته:

من أشهر مؤلفاته: كتاب (المفتاح في اختلاف القراء السبعة المسمين بالمشهورين)، هكذا ورد عنوانه على غلاف مخطوطته في دار الكتب المصرية، والموضح في التجويد. وهو محل بحثنا، وسنتحدث عنه بالتفصيل. وهناك كتابان آخران أشار إليهما القرطبي في كتابه المفتاح(١٧)، لكن يبدو أنهما مفقودان(١٨)، وهما: المفيد في القراءات، وذكره القرطبي في كتابه المفتاح في أكثر من موضع، والوجيز في القراءات، وذكره القرطبي أيضا في كتابه المفتاح في أكثر من موضع، ونقل منه ابن الباذش في كتابه الإقناع ،(١٩)

ثانيا: كتاب الموضح ومكانته في الدرس الصوتي

كتاب الموضح وإن خصه مؤلفه ليكون كتابا في التجويد، لكنه لم يتناول أحكام التجويد في صورتها التقليدية، وإنما تعمق الرجل بشكل كبير في دراسة أصوات العربية بشكل عام؛ وفق منهج واضح المعالم، فلم يترك شيئا من موضوعات علم الأصوات النطقي- بالتعبير المعاصر- إلا أورده ووضحه وعلله واستشهد

الكبار: شمس الدين الذهبي (ص٢٦٨)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: شهاب الدين التلمساني (٦٣٧/٢).

(١٢) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: أبو القاسم ابن بشكوال (ص٣٦٢).

(١٣) معرفة القراء الكبار: شمس الدين الذهبي (ص٢٥٣).

(١٤) تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: شمس الدين الذهبي (١٠ / ١٥٨).

(١٥) غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين ابن الجزري، (٤٨٢/١)

(١٦) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: شهاب الدين التلمساني (٦٣٧/٢)

(١٧) ينظر مقدمة تحقيق الموضح في التجويد، عبد الوهاب بن محمد القرطبي(ص ١٥ ، ١٦) تحقيق: د. غانم قدوري الحمد.

(١٨) ينظر: من أعلام الدرس الصوتي في القرن الخامس الهجري، عبد الوهاب بن محمد القرطبي، د. حقي عبد الرازق الصالحي(ص ٧٥).

(١٩): الإقناع في القراءات السبع، ابن البَاذِش (ص١٩٩).

عليه، وهو بهذا الشمول والوضوح يتفوق على كثير من علماء التجويد.

السبب الذي من أجله ألف كتابه:

يبين عبد الوهاب القرطبي السبب الذي من أجله ألف كتابه؛ أنه رأى الناس في زمانه سواء الناشئين منهم أو المنتهين على حد تعبيره:" قد أغفلوا اصطلاح ألفاظهم من شوائب اللحن الخفي، وأهملوا تصفيتها من كدره، وتخلصها من درنه، حتى مرنت على الفساد ألسنتهم، وارتاضت عليه طباعهم، وصار لهم عادة، بل تمكن منهم تمكن الغريزة...."(٢٠)

منهج الكتاب ومادته العلمية:

ثم يبين منهجه في عرض كتابه بقوله: " رأيت لفرط الحاجة إلى ذلك، وعظم الغناء والفائدة به، أن أقتضب فيه مقالا... أذكر فيه معنى اللحن في موضوع اللغة، وحدّه، وحقيقته في العرف والمواضعة، والسبب الذي من أجله علق بالألسنة، وفشا في كلام العرب، وأبين ما المقصود بالتنبيه عليه، والمراد من الإعلان بالتحذير منه، وما الفائدة الحاصلة بذلك والثمرة المجتناة عنه، ثم أشفع ذلك بالكلام عليه من جهة التفصيل، والتقسيم، وأبعث على تجويد القراءة بذكر ما يستقبح منها ويستحسن، ويختار منها ويستهجن، بقدر الطاقة ومنتهى الوسع والإمكان.(٢١)

ثم فصل الكلام عن اللحن في خمسة فصول: كما يلي

فصل: في بيان معنى اللحن في موضوع اللغة.(٢٢)

فصل: في حد اللحن وحقيقته في العرف والمواضعة وذكر السبب الموجب لانتشاره واستمراره.(٢٣)

فصل: في بيان المراد بالتنبيه على اللحن الخفي والمقصود بالحض على اجتناب الألفاظ المستهجنة.(٢٤)

فصل: في ما يستفاد بتهذيب الألفاظ وماذا تكون الثمرة الحاصلة عند تثقيف اللسان.(٢٥)

فصل: في الكلام على اللحن الخفي والألفاظ المستكرهة من جهة التفصيل وعلى وجه التقسيم.(٢٦)

وكانت هذه الفصول الخمسة التي تحدث فيها عن اللحن وما يتعلق به من مسائل وأحكام؛ بمثابة التمهيد لفكرة الكتاب ومنهجه؛ حيث قسمه بعد ذلك إلى ثلاثة أبواب، وكانت بمثابة التفصيل والتوضيح لهذا التمهيد.

يقول:" وإذا قد وضح ما ذكرناه، وبانت حقيقة الحروف والحركات والسكون، وجب من أجل ذلك أن تكون قسمة ما نحن بصدده على وفقه وبمقتضاه وحسبه، فنجعل الكلام عليه من ثلاثة أوجه نودع كل وجه منها بابا نتقصّى فيه ذكر ما نضمنه إياه ونستوعب إيراد ما به.

---

(٢٠) الموضح في التجويد (ص ٥٤) .
(٢١) السابق (ص ٥٤) .
(٢٢) السابق (ص ٥٥) .
(٢٣) السابق (ص ٥٧) .
(٢٤) السابق (ص ٦٦) .
(٢٥) السابق (ص ٦٩) .
(٢٦) السابق (ص ٧١) .

فنستوفي في الباب الأول: الكلام على بسط الحروف؛ فنحقق مخارجها ومدارجها، وما يتبع ذلك من أحكامها، وننبه على ما يطرأ عليها من الخلل المستكره فيها.

وفي الباب الثاني: الكلام على ما يلزم هذه الحروف عند الائتلاف، وما يحدث فيها لذلك مما يكره ويختار.

وفي الباب الثالث: الكلام على الحركات والسكون، وما الواجب معرفته من ذلك، والله الموفق بمنه وقدرته"[٢٧].

ثم ختم كتابه بفصل: في ذكر كيفية القراءة وبيان ما يستقبح منها ويستحن ويختار منها ويستهجن. [٢٨]

وأنهى كتابه بالحديث عن عيوب النطق التي ينبغي التحرز منها؛ فقال:" قد أتت هذه الفصول على ما إذا تدبره الراغب وتأمله أشرف فيه على المقصود وكفل له بدرك المراد فمن سبقت له عناية من الله تعالى آمنته وصمة تعترض منطقه... ففطر سليما من اللُّكنة ، والحُكْلة[٢٩]، والحُبْسة، والرُّتة[٣٠]، واللُّثْغة[٣١]، خالصا من الهَتْهتة، والتَّهتهة[٣٢]، والفأفاة[٣٣]، والتعتعة[٣٤]، بعيدا من اللجلجة[٣٥]، والخنخنة[٣٦]، والمقمقة[٣٧]، والتمتمة[٣٨]، بنجوة من اللَّفف[٣٩]، واللَّيغ[٤٠]، والفهاهة، والحصر[٤١]، وكانت عربيته بريئة من الكَشكشة[٤٢]، والكَسكسة[٤٣]، والتلتلة[٤٤]،

(٢٧) الموضح في التجويد (ص ٧٦) .

(٢٨) السابق (ص٢١١).

(٢٩) اللكنة والحكلة: عقدة في اللسان وعجمة في الكلام. الموضح (ص٢١٨).

(٣٠) الرتة والحبسة: عقلة في اللسان وعجلة في الكلام. الموضح (ص٢١٨).

(٣١) اللثغة: أن يصير الراء لاما في كلامه ويبدلها بها . الموضح (ص٢١٨).

(٣٢) الهتهتة والهتهتة (التهتهة) بالثاء والتاء: حكاية التواء اللسان عند الكلام. الموضح (ص٢١٩).

(٣٣) الفأفأة: التردد في الفاء. الموضح (ص٢١٩).

(٣٤) التعتعة: حكاية صوت العيي والألكن. الموضح (ص٢١٩).

(٣٥) اللجلجة: أن يكون في نطقه عي وإدخال لبعض الكلام على بعض. الموضح (ص٢١٩).

(٣٦) الخنخنة: أن يتكلم بالخاء من لدن أنفه وقيل: هي ألا يبين المتكلم للسمع كلاما فيخنخن في خياشيمه الموضح (ص٢١٩).

(٣٧) المقمقة: أن يتكلم من أقصى حلقه. الموضح (ص٢١٩).

(٣٨) التمتمة: التردد في التاء. الموضح (ص٢٢٠).

(٣٩) اللفف: أن يكون في اللسان عجلة وانعقاد. الموضح (ص٢٢٠).

(٤٠) الليغ: الذي لا يفصح في الكلام. الموضح (ص٢٢٠).

(٤١)الفهاهة والحصر: بمعنى العِي.الموضح (ص٢٢٠).

(٤٢) الكشكشة: في لغة تميم، إبدال الشين من كاف الخطاب، عند خطاب المؤنث، يقولون: ما جاء بش. يريدون: ما جاء بك، وقرأ بعضهم: (قد جعل ربش تحتش سريا) في موضع "ربك تحتك" الموضح (ص٢٢٠).

(٤٣) الكسكسة: في لغة بكر، يقولون في خطاب المؤنث: أبوس، وأُمُس، يريدون: أبوك وأمك، فيبدلون من الكاف سينا. ومن العرب: من يزيد على كاف المؤنث في الوقف سينا. لتبين كسرة الكاف، فيقول جررت بكس. ونزلت عليكس، وإذا وصل حذف لبيان الكسرة بالوصل، ومنهم من يجعل الزيادة شينا، وهو ربيعة. الموضح: (ص٢٢٠).

والكتكتة[٤٥]، واللخلخانية[٤٦]، والطمطمائية[٤٧]، والعنعنة[٤٨]، ولم يكن ثرثارا[٤٩]، ولا مهذارا[٥٠]، ولا متشدقا[٥١]، ولا متفيهقا"[٥٢].

وكتاب الموضح كما هو باد من عنوانه واضح الفكرة، محدد المعالم، وتكمن قيمته العلمية فيما يلي:

١- اعتماد القرطبي على كثير من المصادر التي ألفها علماء العربية وعلماء التجويد الذين سبقوه، أعطى قيمة لغوية وصوتية كبيرة لكتابه؛ خاصة وأنه لم يكن ناقلا فحسب؛ وإنما كان مبتكرا ومجددا ومضيفا، يبدو ذلك من خلال آرائه وملاحظاته واستنتاجاته الصوتية.

٢- يتحدث الكتاب عن أصوات العربية الفصحى، ويبين خصائصها النطقية وأحكامها التركيبية، ويعالج أصوات اللغة التي نكتب بها، ونستعملها في كثير من مظاهر حياتنا، خاصة العلمية والتعليمية، فضلا عن فرضية قراءتنا وتلاوتنا للقرآن الكريم بها، بطريقة لا يجوز فيها أي خلل صوتي أو لغوي يخالف قواعد العربية.

٣- منهج المؤلف في دراسة أصوات اللغة دراسة تجريدية تُعنى أولا ببيان مخارج الأصوات وصفاتها، ثم دراستها وهي مؤتلفة في التركيب المنطوق، يعطي الكتاب قيمة علمية كبيرة في تعليم النطق الصحيح.

٤- تميز الكتاب- إلى جانب منهجه- بالنظرات العميقة في فهم الظواهر الصوتية؛ فكلامه عن ظواهر المد والتشديد والتليين والإظهار والإخفاء والقلب جاء واضحا وعميقا ومبينا بالأمثلة، وكذلك حديثه عن الشوائب الصوتية التي تدخل على الحروف بالتجاور في التركيب، وتنبيهه إلى ما يمتنع منها وإلى ما يجوز يعد هذا من دقائق علم الأصوات التي لم يسبق إليها في كثير منها.

٥- أولى المؤلف الحركات عناية كبيرة، فجعل الباب الثالث في الكلام على الحركات والسكون، وهو أمر يكاد ينفرد به الكتاب من بين كتب التجويد القديمة، كما أنه يستند في حديثه عن أصوات الحركة إلى فهم دقيق لهذه الأصوات، وإدراك صحيح للعلاقة بينها، وهو أمر يلحظه القارئ المتعمق لهذا الكتاب، ونراه يضع قانونا

---

(٤٤) التلتلة: في لغة بهراء: يقولون: تعلمون وتصنعون بكسر أوائل الأفعال. الموضح (ص ٢٢١).

(٤٥) الكتكتة: إبدال تاء الخطاب كافا، يقول بعضهم: عصيك، موضع عصيت. الموضح (ص ٢٢٠).

(٤٦) اللخلخانية: تعرض في لغة أعراب عمان، يقولون: في ما شاء الله: مشاء الله، فيحذفون الألف من ما. الموضح: (ص٢٢١).

(٤٧) الطمطمانية: في لغة حمير: يقولون في طاب الهواء: طام الهواء ، فيبدلون من الباء ميما. الموضح (ص ٢٢١).

(٤٨) العنعنة: في لغة تميم، يقولون: ظننت عنك ذاهب، وهم يريدون: أنك ذاهب ، فيبدلون من الهمزة عينا. الموضح (ص ٢٢١).

(٤٩) الثرثار: هو المهذار الكثير الكلام في غير إصابة. الموضح (ص ٢٢١). .

(٥٠) المتشدق: هو الذي يملأ شدقيه بالكلام. الموضح (ص ٢٢٢).

(٥١) المتفيهق: هو الذي يتوسع في كلامه حتى يغص به فمه، مأخوذ من الفهق وهو الامتلاء. وفي الحديث معناه المتكبر. لأنه يؤول إلى هذا المعنى. الموضح: (ص ٢٢٢).

(٥٢) الموضح في التجويد (ص ٢١٧) .

عاما في نطق هذه الأصوات من خلال قوله: "فنقول الذي ينبغي أن يعتمده القارئ من ذلك أن يحفظ مقادير الحركات والسكنات، فلا يشبع الفتحة بحيث تصير ألفا، ولا الضمة بحيث تخرج واوا، ولا الكسرة بحيث تتحول ياء، فيكون واضعا للحرف موضع الحركة، ولا يوهنها ويختلسها، ويبالغ فيضعف الصوت عن تأديتها، ويتلاشى النطق بها وتتحول سكونا.

٦- تميز الكتاب بالمقدمة الضافية التي تحدث في فصولها الخمسة عن اللحن والأسباب التي أدت إلى ظهور اللحن الخفي؛ فالبحث عن أسباب الانحرافات الصوتية المتمثلة بظاهرة اللحن الخفي لم يلتفت إليها كثير ممن سبقوه، كذلك الفصل الذي ختم به كتابه، في ذكر كيفية القراءة وبيان ما يستقبح منها وما يستحسن، ويختار منها ويستهجن، يعد خاتمة متميزة لكتاب يدرس أصوات اللغة ويعالج ظواهر النطق، والوقوف على الانحرافات اللهجية والعيوب النطقية أمر متمم لمعرفة مخارج الأصوات وصفاتها وأحكامها الناشئة لها من التركيب. (٥٣)

بحوث ودراسات حول كتاب الموضح ومؤلفه، منها:

١- من أعلام الدرس الصوتي في القرن الخامس الهجري، عبد الوهاب القرطبي(ت ٤٦٢هـ). وهو بحث للدكتور حقي عبد الرزاق لطيف، منشور بمجلة المورد العراقية، العدد الثالث ٢٠٠٦م. تناول فيه: حياة القرطبي، درس فيه: اسمه، ونسبه، ومولده ونشأته ورحلاته وشيوخه وتلامذته ومؤلفاته ووفاته، وذكر أيضاً منهجه الصوتي من خلال كتابه الموضح في التجويد، ويتضح منهجه من خلال حديثه عن : مزية الصوت وخاصيته، وقياس الصوت اللغوي، والمصطلح الصوتي عند القرطبي.

٢- المصطلح الصوتي في كتاب (الموضح في التجويد) لعبد الوهاب القرطبي، تأصيل وموازنة، وهو بحث للدكتور: رافع عبد الغني يحيى الطائي، كلية الآداب: جامعة الموصل. منشور بمجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد: ١٥ العدد :١ لسنة ٢٠. تناول فيه عددا من المصطلحات الصوتية من خلال كتاب الموضح للقرطبي.

٣- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، وهو كتاب للدكتور: غانم قدوري الحمد، عرض فيه لجوانب من الدراسات الصوتية عند علماء التجويد بشكل عام، وضمنه كثيرا من آراء عبدالوهاب القرطبي والمسائل الصوتية التي تناولها في كتابه الموضح، وهي قضايا ومسائل أوجز بعضها في مقدمة تحقيقه لكتاب الموضح.

وهي بحوث لم تتناول كل الجوانب الصوتية التي احتشد بها كتاب الموضح، وما زال الكتاب ميدانا خصبا للدراسة البحثية المتعمقة؛ للوقوف على إشاراته وآرائه وقضاياه الصوتية المتأصلة، التي تُجلي كثيرا من المسائل والقضايا الصوتية بشكل عام، والمتعلقة بتلاوة القرآن الكريم وأحكامه التجويدية بشكل خاص.

ويأتي بحثنا ليجلي جانبا من هذه الجوانب الصوتية التي أثارها الكتاب، وعالجها معالجة صوتية متعمقة، وهو جانب لم يتم تناوله قبل ذلك من خلال هذا الكتاب.

---

(٥٣) ينظر مقدمة تحقيق الموضح في التجويد (ص ٣٤ وما بعدها) .

المبحث الأول

التجاور بين الأصوات وآثاره الصوتية

من الدراسات الصوتية التي قدمها علماء العربية حديثهم عن ائتلاف الحروف، وكيفية بناء الكلمة العربية، وقد لاحظ الخليل أن اللغات تختلف في ذلك، وما قد يتلاءم مع أمة ربما لا يتلاءم مع أمة أخرى، ولاحظ أيضًا أن الأذن العربية قد تستسيغ أصواتًا معينة لا يستسيغها غيرها، وأن اللسان العربي قد ينطق بتركيب خاص لا ينطق به لسان غيره، وأن العرب كانوا يأبون تأليفًا خاصًّا من الكلمات لا يأباه غيرهم، مثل إبائهم اجتماع واوين أول الكلمة، والابتداء بالساكن، واجتماع حرفين ساكنين. (٥٤)

كذلك تحدث سيبويه عما يسمى بالانسجام الصوتي، وأطلق عليه مصطلح المضارعة؛ فتحدث عن إبدال السين صادًا في كلمة مثل سويق: صويقٌ، وإبدال الصاد زايًا في بعض اللغات، إذا كانت الصاد ساكنة وبعدها صوت مجهور؛ مثل التصدير: التزدير، وفي الفصد: الفزد، وفي أصدرت: أزدرت. وعلل هذه الظاهرة بقولهما: "ليكون عمل اللسان من وجه واحد"(٥٥).

ويعنيان بذلك الاقتصاد في الجهد العضلي. وتلك نظرية يقرهما عليها علم اللغة الحديث، وممن نادى بها Andre Martinet [أندري مارتيني ١٩٠٨- ١٩٩٩] إذ صرح بأن التغييرات الصوتية الهامة في اللغة ترجع أساسًا إلى الميل إلى استعمال الوسائل الفونيمية في اللغة اقتصاديًّا، وبطريقة سهلة بقدر الإمكان. (٥٦)

يقول د. تمام حسان: " فالنظام الصوتي للغة يقرر مثلًا أن الدال مجهورة وأن التاء مهموسة... ولكن الكلام وهو التطبيق العملي لنظام اللغة قد يشتمل على دال ساكنة متبوعة بتاء متحركة، وهنا نجد أن تجاور الحرفين على هذا النحو يتسبب في صعوبة عضوية...؛ لأن جهر الدال الساكنة المتبوعة بتاء متحركة أمر ثقيل التحقيق في النطق, وهنا تظهر مشكلة من مشاكل التطبيق يحلها السياق بظاهرة الإدغام, فتكون الدال والتاء في النطق كالتاء المشددة تمامًا "قعدت–قعت"(٥٧).

وموضوع "علم الأصوات" قائم على دراسة الأصوات اللغوية، من ناحية وصف مخارجها، وكيفية حدوثها، وصفاتها المختلفة، التي يتميز بها صوت عن صوت، كما يدرس القوانين التي تخضع لها هذه الأصوات في تأثرها بعضها ببعض، عند تركبها في الكلمات أو الجمل. (٥٨)

فهو إذن مَعْنِي بدراسة الأصوات في حالة إفرادها وحالة تركبها، أو تآلفها على حد تعبير اللغويين العرب، وهذا القضية شغلت اللغويين وعلماء التجويد قديما وحديثا، فابن الجزري يتحدث عن النطق بالحرف في حالتي إفراده،

---

(٥٤) ينظر العين للخليل. (ص ٥٥، وما بعدها)، كما ينظر: البحث اللغوي عند العرب: د. أحمد مختار عمر(ص ١١٨).

(٥٥) ينظر: الكتاب: سيبويه (٤/ ٤٧٨).

(٥٦) ينظر: البحث اللغوي عند العرب: د. أحمد مختار عمر(ص ١١٨).

(٥٧) اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان (ص ٢٦٢).

(٥٨) المدخل إلى علم اللغة. د. رمضان عبد التواب (ص ١٣) .

وتركيبه، واختلاف هذا النطق في حالة تركيبه، ومراعاة هذا الاختلاف حتى لا يحدث خلل في النطق بالحرف في حالته التركيبية؛ فيقول:" فَإِذَا أَحْكَمَ الْقَارِئُ النُّطْقَ بِكُلِّ حَرْفٍ عَلَى حِدَتِهِ مُوفٍ حَقَّهُ فَلْيُعْمِلْ نَفْسَهُ بِإِحْكَامِهِ حَالَةَ التَّرْكِيبِ; لِأَنَّهُ يَنْشَأُ عَنِ التَّرْكِيبِ مَا لَمْ يَكُنْ حَالَةَ الْإِفْرَادِ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ؛ فَكَمْ مِمَّنْ يُحْسِنُ الْحُرُوفَ مُفْرَدَةً وَلَا يُحْسِنُهَا مُرَكَّبَةً، بِحَسَبِ مَا يُجَاوِرُهَا مِنْ مُجَانِسٍ وَمُقَارِبٍ، وَقَوِيٍّ وَضَعِيفٍ، وَمُفَخَّمٍ وَمُرَقَّقٍ؛ فَيَجْذِبُ الْقَوِيُّ الضَّعِيفَ، وَيَغْلِبُ الْمُفَخَّمُ الْمُرَقَّقَ، فَيَصْعُبُ عَلَى اللِّسَانِ النُّطْق بِذَلِكَ عَلَى حَقِّهِ إِلَّا بِالرِّيَاضَةِ الشَّدِيدَةِ حَالَةَ التَّرْكِيبِ، فَمَنْ أَحْكَمَ صِحَّةَ اللَّفْظِ حَالَةَ التَّرْكِيبِ حَصَّلَ حَقِيقَةَ التَّجْوِيدِ بِالْإِتْقَانِ وَالتَّدْرِيبِ[٥٩].

فابن الجزري يبين أهمية معرفة الحرف في حالة التركيب، وما يطرأ عليه من تغيير بحسب تجاوره مع غيره من الحروف؛ لأن نطق الحرف في حالته التركيبية يحتاج إلى معرفة ودربة ورياضة، حتى يستطيع القارئ نطقه على وجهه الصحيح.

وليس كل صوت صالحا لأن يجاور أي صوت في السلسلة الكلامية؛ فمخرج الصوت وصفاته هما اللذان يحددان ورود صوت بعينه في موقع بعينه أو عدم وروده؛ ذلك أن أعضاء النطق لا تنطق في الكلام العادي كل صوت مستقلا بمفرده، وإنما يتأثر نطق الصوت الواحد بالأصوات السابقة عليه واللاحقة له... وقد حرصت العربية على نسج كلماتها من أصوات متباعدة المخرج إلى الحد الذي لا يسبب إجهادا لأعضاء النطق فيتمكن المرء من نطق الكلمة بسهولة ويسر.[٦٠]

ويقر علماء الأصوات المحدثون أن الأصوات اللغوية يتأثر بعضها ببعض في المتصل من الكلام؛ فحين ينطق المرء نطقا طبيعيا لا تكلف فيه، نلحظ أن أصوات الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها في بعض، كما نلحظ أن اتصال الكلمات في النطق المتواصل قد يخضع أيضا لهذا التأثر، على أن نسبة التأثر تختلف من صوت إلى آخر، فمن الأصوات ما هو سريع التأثر يندمج في غيره أكثر مما يطرأ على ما سواه من الأصوات.[٦١]

وقد تحدث علماء العربية عن هذه الظاهرة بشكل أوسع وأعم، وكان الخليل بن أحمد أول من تحدث عنها، وأطلق عليها: تأليف الحروف؛ حيث يقول: ويجوز في حكاية المضاعَفة ما لا يجوز في غيرها من تأليف الحروف، ألا تَرَى أنّ الضَّادَ والكاف إذا أُلِّفَتَا فبُديء بالضَّادِ فقيل: ضك، كان تأليفا لم يحسُن في أبنية الأسماء والأفعال إلا مفصولا بين حَرْفَيه بحرف لازم أو أكثر، من ذلك الضَّنْك

(٥٩) النشر في القراءات العشر: ابن الجزري (١ / ٢١٤ ، ٢١٥) .

(٦٠) ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي الشايب (ص ١٥).

(٦١) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، (ص ٣٢٧). وينظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس (ص ١٧٩)

والضحك وأشباه ذلك. وهو جائز في المضاعف نحو الضَّكضاكة من النساء.[٦٢]

ويقول ابن جني: " وإذا اختلفت أحوال الحروف حسن التأليف"..[٦٣]، ويطلق عليها ابن جني أيضا: مزج الحروف، حيث يقول:" وهذا فصل: مذهب مزج العرب الحروف بعضها ببعض[٦٤].

ثم يتحدث عن أثر هذا التجاور في التركيب؛ فيقول:" واعلم أن أقل الحروف تألفا بلا فصل حروف الحلق، وهي ستة: الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، فسبيل هذه الحروف متى اجتمع منها في كلمة اثنان أن يكون بينهما فصل، وذلك نحو: هدأت، وخبأت... فهذه حال هذه الحروف، وحكمها ألا تتجاور غير مفصولة إلا في ثلاثة مواضع: **أحدها:** أن تُبتدأ الهمزة، فيجاورها من بعدها واحد من ثلاثة أحرف حلقية، وهي: الهاء، والحاء، والخاء، فالهاء نحو: أهل... وأهبة... والحاء نحو: أحَد، وإحْنة، والخاء نحو: أخذ، وأخر... **الثاني:** ائتلاف الهاء مع العين، ولا تكون العين إلا مقدمة، وذلك نحو: عَهْد... وعِهْن. **الثالث:** ائتلاف العين مع الخاء، ولا تكون الخاء إلا مقدمة، وذلك نحو: بَخَعَ، والنخَع ... وأحسن التأليف ما بُوعد فيه بين الحروف، فمتى تجاور مخرجا الحرفين؛ فالقياس ألا يأتلفا، وإن تجشموا ذلك بدءوا بالأقوى من الحرفين، وذلك نحو: "ورل" و"وتد" و"محتد"، فبدءوا بالراء قبل اللام، وبالتاء قبل الدال لأنهما أقوى منهما". [٦٥]

وابن فارس يطلق عليها ائتلاف الحروف، فيقول:"... المهمَل عَلَى ضربين: ضربٌ لا يجوز ائتلاف حروفه فِي كلام العرب بَتَّةً، وذلك كجيم تؤلَّف مع كاف، أَوْ كاف تقدَّم عَلَى جيم، وكعين مع غين، أَوْ حاء مع هاء أَوْ غين، فهذا وَمَا أشبهه لا يأتلف. والضرب الآخر: مَا يجوز تألُّف حروفه، لكن العرب لَمْ تَقُل عَلَيْهِ، وذلك كإرادة مريد أن يقول: "عضخ" فهذا يجوز تألُّفه وَلَيْسَ بالنافر، ألا تراهم قَدْ قالوا فِي الأحرف الثلاثة: "خضع" لكن العرب لَمْ تقل عضخ، فهذان ضربا المهمل.[٦٦]

ويقول ابن جني: التأليفُ ثلاثة أضرب: أحدُها: تأليفُ الحروفِ المتباعدة وهو أَحْسَنُه وهو أغلب في كلام العرب. والثاني: الحروفُ المتقاربة لضَعْفِ الحرْفِ نفسه وهو يلي الأول في الحسْن. والثالث: الحروفُ المتقاربة فإما رُفض وإما قَلَّ استعماله، وإنما كان أقلَّ من المتماثلين وإن كان فيهما ما في المتقاربين وزيادة، لأن المتماثلَين يخفَّان بالإدغام، ولذلك لما أرادت بنو تميم إسكان عَيْن (مَعْهم) كرهوا ذلك فأبدلوا الحرفين حاءين وقالوا: مححم) فرأوا ذلك أسهلَ من الحرفين المتقاربين.[٦٧]

ويقول ابن دريد:" وَاعْلَم أَن الْحُرُوف إِذا تقاربت مخارجها كَانَت أثقل على اللِّسَان مِنْهَا

---

(٦٢) كتاب العين : الخليل بن أحمد (١/ ٥٦)، امرأة ضَكْضاكةٌ، أي: مكتنزة، صلبة اللحم. العين : الخليل بن أحمد (٥/ ٢٧٠).

(٦٣) الخصائص: ابن جني (١/ ٥٨).

(٦٤) سر صناعة الإعراب: ابن جني (٢/ ٤٢٧).

(٦٥) السابق (٢/ ٤٢٨ ، ٤٢٩).

(٦٦) الصاحبي في فقه اللغة: أحمد بن فارس (ص ٤٧).

(٦٧) سر صناعة الإعراب: ابن جني (٢/ ٤٣١). وينظر: المزهر في علوم اللغة: السيوطي (١/ ١٥٤).

إِذا تَبَاعَدت، لِأَنَّك إِذا اسْتعْملت اللِّسَان فِي حُرُوف الْحلق دون حُرُوف الْفَم وَدون حُرُوف الذلاقة كلفته جرسا وَاحِدًا وحركات مُخْتَلفَة؛ أَلا ترى أَنَّك لَو ألفت بَين الْهمزَة وَالْهَاء والحاء فَأمكن لوجدت الْهمزَة تتحول هَاء فِي بعض اللُّغَات لقربها مِنْهَا نَحْو قَوْلهم فِي " أم وَالله ": " هم وَالله "، وكما قَالُوا فِي " أراق ": " هراق المَاء "؛ و لوجدت الْحَاء فِي بعض الْأَلْسِنَة تتحول هَاء، وَقد ذكرت هَذَا آنِفا، وَإِذا تَبَاعَدت مخارج الْحُرُوف حسن وَجه التَّأْلِيف... وَاعْلَم أَنه لَا يكَاد يَجِيء فِي الْكَلَام ثَلَاثَة أحرف من جنس وَاحِد فِي كلمة وَاحِدَة لصعوبة ذَلِك عَلَيْهِم، وأصعبها حُرُوف الْحلق.(٦٨)

وقد يكون التجاور بين بعض الأصوات سببا من أسباب موت الألفاظ؛ فقد تموت الكلمة لسبب داخليّ فيها، وهو ما تشتمل عليه من أصوات، فلا تمتدّ بها الحياة كثيراً كمن ولد مريضاً فلا يلبث أن يموت، وآفة الكلمة أن تتقارب مخارج الحروف فيها... فيكون عرضة للإماتة لثقله، نحو: العَهْق، فإن فعله ممات، كما يقول ابن دريد(٦٩)، لمجاورة الهاء العين، ومثله إماتة الفعل (عهم)(٧٠) لتجاور حرفي الحلق، وقد ندر مجيء الرّاء بعد النّون ولاسيّما إن كانت النّون ساكنة والرّاء متحرّكة، وهذا قليل جدّاً في العربيّة. (٧١)

ويطلق د. تمام على هذه الظاهرة اسم الموقعية؛ يقول:" فالموقعية إذن دراسة لعلامات الموقع، أو دراسة لسلوك الأصوات في الموقع، طبقا لما يقتضيه هو سواء أكان هذا الموقع بداية الكلمة، أم في وسطها، أم في نهايتها. وإذن فدراسة الأصوات المفردة المنعزلة انعزالا مصطنعا عن السياق، ليست دراسة موقعية؛ لأن الصوت المفرد المنعزل ليس به مواقع نسبية تدرس، أو تكون لها علامات(٧٢).

ويرى أن: دراسة المجاورة في السياق على طريقة اللغويين من العرب، مجهود ليس باليسير الهين، وإن كان غير محدد الدلالات الاصطلاحية، على أن هذا الموضوع بحاجة إلى دراسة أوسع، ومجهود أضخم؛ لأن فيه الكثير من أسرار اللغة العربية، التي لا تبديها الدراسات التقليدية الشائعة في النحو والصرف والبلاغة. (٧٣)

ويرى أن دراسة ظاهرة التأليف إذا بنيت على المخارج العشرة... فلربما كانت أجدى في شمول هذه الظاهرة الموقعية من دراستها

(٦٨) جمهرة اللغة: أبو بكر بن دريد (١/ ٤٦).
(٦٩) السابق (٢/ ٩٤٥).
(٧٠) السابق (٢/ ٩٥٤).

(٧١) موت الألفاظ في العربية: عبد الرزاق بن فراج الصاعد: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: السنة التاسعة والعشرون. العدد السابع بعد المائة.
(٧٢) مناهج البحث في اللغة، د: تمام حسان (ص ١٤٧).
(٧٣) مناهج البحث في اللغة، د: تمام حسان (ص١٣٧).

مؤسَّسة على هذه المناطق الثلاث[٧٤] التي يشتمل كل منها على مخارج متعددة.[٧٥]

ويرى ضرورة التوسع في دراستها لتشمل المستعمل والمهجور من اللغة؛ فيقول: هذه الظاهرة الموقعية "التأليف" مرتبطة أشد الارتباط بدراسة المستعمل والمهجور من مواد اللغة, وهي بهذا المعنى ترتبط بمعنى الكلمة العربية الفصحى نوع ارتباط. [٧٦]

وينقل السيوطي عن صاحب كتاب: عروس الأفراح قوله: رُتَبُ الفَصَاحة مُتَفَاوتة فإن الكلمةُ تخفُّ وتَثْقُل بحَسَب الانتقال من حَرفٍ إلى حرف لاَ يُلاَئمه قُرْباً أو بُعداً؛ فإن كانت الكلمةُ ثلاثية فتركيبها اثنا عشر:

الأول: الانحدارُ من المخرج الأعلى إلى الأوْسط إلى الأدنى نحو (ع د ب) .

الثاني: الانتقالُ من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوْسط نحو (ع ر د). ويبدو أن الراء خطأ مطبعي صحته الباء.

الثالث: من الأعلى إلى الأدنى إلى الأعلى نحو (ع م هـ) .

الرابع: من الأعلى إلى الأوْسط إلى الأعلى نحو (ع ل ن) "ويبدو أن النون خطأ مطبعي صحته الهاء".

الخامس: من الأدنى إلى الأوْسط إلى الأعلى نحو (ب د ع) .

السادس: من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط نحو (ب ع د) .

السابع : من الأدنى إلى الأعلى إلى الأدنى نحو (ف ع م) .

الثامن: من الأدنى إلى الأوسط إلى الأدنى نحو (ف د م) .

التاسع: من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى نحو (د ع م) .

العاشر: من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى نحو (د م ع) .

الحادي عشر: من الأوسط إلى الأعلى إلى الأوسط نحو (ن ع ل) .

الثاني عشر: من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط نحو (ن م ل) .

إذا تقرر هذا فاعلم أن أحسنَ هذه التراكيب وأكثرَها استعمالا ما انحدر فيه من الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى، ثم ما انتقل فيه من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى، ثم من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط. وأما ما انتقل فيه من الأدنى إلى الأوسط إلى الأعلى، وما انْتُقل فيه من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى، فهما سِيَّان في الاستعمال، وإن كان القياس يقتضي أن يكون أرجَحَهما ما انتُقل فيه من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى. وأقل الجميع استعمالا ما انتُقل فيه من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط.

هذا إذا لم ترجع إلى ما انتقلتَ عنه، فإن رجعت فإن كان الانتقالُ من الحرف الأول إلى الثاني في انحدارٍ من غير طَفْرة- والطَّفْرة

---

(٧٤) يقصد تقسيم المخارج إلى ثلاثة: مخرج أعلى ومخرج أوسط ومخرج أدنى، على ما سيأتي في نص صاحب كتاب: عروس الأفراح.

(٧٥) اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان (ص٢٧٠) .

(٧٦) السابق (ص٢٧٠).

الانتقال من الأعلى إلى الأدنى أو عكسه- كان التركيبُ أخفَّ وأكثر، وإن فُقِد بأن يكون النقل من الأول في ارتفاع من طفرة كان أثقلَ وأقلَّ استعمالا. (٧٧)

ويعلق د. تمام حسان على هذا الكلام بقوله: ويظهر أن الشيخ بهاء الدين وكذلك السيوطي لم يكلف نفسه عناء استقصاء الإمكانات التي تحتملها الكلمة العربية من هذ الناحية استقصاءً كاملًا, فكان عليهما أن ينظرا إلى القضية مثل النظرة الرياضية الإحصائية التي نظرها الخليل في كتاب العين؛ حيث حسب الطرق التي تجتمع بها الحروف في الكلمة الواحدة فضرب (٢٨×٢٨×٢٨) وحصل منها على عدد المواد التي يمكن للغة العربية أن تعدد الكلمات تحت كل واحدة منها، ولا شكَّ أن الشيخ بهاء الدين والسيوطي لم يكن أمامهما عمل معقد كالذي قام به الخليل؛ لأن العدد المضروب هنا لن يكون (٢٨) بعدد الحروف (الهجائية), وإنما يكون (٣) بعدد أنواع المخارج؛ فتضرب في نفسها مرتين (٣×٣×٣) فتكون احتمالات تركيب الكلمة من هذه الأنواع سبعة وعشرين احتمالًا. فإذا دللنا على أنواع المخارج بالأرقام بدل الأوصاف, فجعلنا الرقم١ للأدنى والرقم٢ للأوسط والرقم٣ للأعلى, صار في وسعنا أن نعبِّر عن التواليف الممكنة وغير الممكنة على السواء, وأن نصور ذلك على النحو التالي. (٧٨)

ولكننا نرى أن د. تمام حسان تعجل في الحكم على الرجل؛ فالرجل يتحدث عن رتب الفصاحة، ولذلك اكتفى بإيراد النماذج الممكنة، والتي يمكن أن تقترب أو تبتعد بنسب متفاوتة من الفصاحة بحسب تناسب المخارج في ترتيبها الصوتي، ولم يكن هدفه حصر كل الأوجه التبادلية؛ لأنه سينتج منها كلمات ربما تكون مهملة، ولا تصلح أو تصح في اللسان العربي، أو ربما تكون بعيدة عن الفصاحة، بخلاف الخليل بن أحمد الذي كان هدفه استقصاء وحصر كل الأوجه التي يمكن من خلالها تتكون الكلمة، ثم بعد ذلك اختيار ما تحدثت به العرب، أو ما يصلح ويصح الكلام به في اللسان العربي من كلمات.

ويلاحظ أن فكرة تقارب المخارج وتباعدها هي أساس هذه الظاهرة في اللغة العربية الفصحى "ظاهرة التأليف"؛ فبحسبها تتجاور الحروف في الكلمة أو لا تتجاور, وهذه الظاهرة هي التي استعان بها القدماء من نقّاد الأدب في الكشف عمَّا سموه "التنافر اللفظي", وعلى أساسها بنوا نقدهم لكلمة "مستشزرات" التي وردت في معلقة امرئ القيس, ولعبارة "وليس قرب قبر حرب قبر". (٧٩)

وقد خصص عبد الوهاب القرطبي بابا من أبواب كتابه للحديث عمَّا يعرض للحروف من أحكام عند ائتلافها وتركبها ألفاظا، ويتحدث عن نظرية التأليف التي تحدث عنها اللغويون

(٧٧) المزهر في علوم اللغة: السيوطي (١/ ١٥٧).
(٧٨) اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان (ص ٢٦٨).
(٧٩) اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان (ص٢٧٠) .

فيقول: اعلم أن التأليف: منه متعذر ممتنع، ومنه ممكن ولكنه منبوذ مستكره، ومنه ممكن وهو مستحسن مستعمل، فالممتنع: كالابتداء بالساكن، والجمع بين الساكنين في غير وقف... وأما المستكره: فمثل توالي أربع حركات في كلمة واحدة؛ لأن ذلك مما نبذ وتحومي، حتى لم يجئ منه في كلامهم إلا أحرف نادرة توهموا فيها حذف ألف ساكنة وإقامة الفتحة مقامها، وذلك نحو: هدبد وعجلط وعثلط وأصلها هدابد وعجالط وعثالط... وأما السائغ الممكن: فما ببنته العرب من المتحرك والساكن، وتكلمت به من الأمثلة المستعملة. (٨٠)

ثم بيَّن أن حديثه منصب على النوع الثالث؛ فقال:" وهذا الضرب يعرض فيه عند الائتلاف والتجاور من الأحكام زيادة على وضع بسيط الحروف؛ كالمد، والتشديد، والتليين، والإظهار، والإخفاء، والقلب، وما يدخل من شوائب الحروف بعضها على بعض، بسبب المناسبة بينها والمباينة والمقاربة والمباعدة" (٨١).

وهنا يشير عبد الوهاب القرطبي من خلال هذا النص إلى الآثار الناشئة من تجاور الأصوات وائتلافها؛ من ذلك: المد، والتشديد، والتليين، والإظهار، والإخفاء، والقلب، وما يدخل من شوائب الحروف بعضها على بعض.

والظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب التي ذكرها عبد الوهاب القرطبي منها ما يختص بالأصوات الذائبة (الصائتة)، وهي: المد والتليين، ومنها ما يختص بالأصوات الجامدة (الصامتة)، مثل التشديد والإظهار والإخفاء والقلب(٨٢).

المماثلة الصوتية:

ومن الآثار الناشئة عن التركيب ما يعرف في الدرس الصوتي الحديث بالمماثلة الصوتية: حيث يطلق على تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض؛ المماثلة، وتعني المماثلة: أن صوتًا من الأصوات في كلمة أو ما يشبه الكلمة أثَّر في صوت آخر في نفس الكلمة فجعل نطقه قريبًا من نطقه، أي جعل نطقه مماثلا لنطقه.(٨٣)

ويعرفها محمد على الخولي بقوله: مماثلة: تعديل صوت ليصبح أكثر تماثلا مع صوت آخر يجاوره، وهدف المماثلة تسهيل اللفظ، كما أن المماثلة تكون غالبا نتيجة لأوضاع أعضاء النطق، والمماثلة تكون تقدمية أو رجعية، جزئية أو كلية، تجاورية أو تباعدية. (٨٤)

والمماثلةِ قد تكون تامّةً أو جزئية بالنّظرِ إلى مدى تأثيرِ الصّوتِ المكيّف في المتكيّف، وأنّها قد تكونُ رجعيّةً أو أماميّة بالنّظر إلى موقعِ الصّوت المتكيّف، وأنَها قدْ تكونُ تجاوريّةً أو تباعديّة بالنّظر إلى وجود صوتٍ يفصلُ بين المكيِّف والمتكيِّف، فنحن نلفظُ السّين صادًا في قولنا "مسطور"، وصفوةُ القولِ أنّ مماثلةً وقعتْ

(٨٠) الموضح في التجويد (ص١٢٧).

(٨١) الموضح في التجويد (ص ١٢٨).

(٨٢) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، (ص٣٣٠).

(٨٣) علم اللغة العربية : د. محمود فهمى حجازي (ص ٢٢٧).

(٨٤) معجم علم الأصوات، د. محمد على الخولي (١٦٢). وفي تعرف المماثلة وأنواعها ينظر أيضا: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد محتار عمر، (ص ٣٧٨).

بين الطاء المكيّف والسّينِ المتكيّف؛ فأفضتْ إلى نطقِ السّين صادًا وفاءً بملمح التّفخيمِ الآتي من الطاء على مجاورِه "السّين".(٨٥)

وقسم البعض المماثلة بين الصوامت إلى ثمانية أقسام:

١- مماثلة كلية مقبلة متصلة.
٢- مماثلة كلية مقبلة منفصلة.
٣- مماثلة كلية مدبرة متصلة .
٤- مماثلة كلية مدبرة منفصلة.
٥- مماثلة جزئية مقبلة متصلة.
٦- مماثلة جزئية مقبلة منفصلة.
٧- مماثلة جزئية مدبرة متصلة.
٨- مماثلة جزئية مدبرة منفصلة. (٨٦)

والمماثلة الجزئية: أن يتغير صوت ليماثل آخر في كيفية النطق أو مكان النطق أو الهمس أو الجهر أو أية سمة أخرى مثل: التأنيف أو التغوير أو التفخيم . مثال ذلك نطق / س / كأنها / ص / في سيطرة بتأثير / ط / ، إذ تحولت/ س / إلى / ص / المفخمة أو المطبقة لأن / ط / مفخمة. (٨٧)

وقد كان واضحا لدى علماء التجويد أن الأصوات إذا تجاورت في الكلمة المفردة، أو في الكلام المتصل تعرضت صفاتها للتغير الجزئي أو الكلي إذا نطق بها متصلة، وذلك بحسب طبيعة الصوت وما يجاوره. يقول عبد الدايم الأزهري (ت٨٧٠هـ) موضحا أثر المجاورة:" احذر من تفخيم ياء (بَرَقَ) لمجاورتها الراء المفخمة، فإن اللسان يسبق إلى تفخيمها، وكذا (بَاطِل) لمجاورتها الألف المدية، فيسرع اللسان إلى تفخيمها وتفخيم الألف المدية والطاء بسبب المجاورة ؛ إذ المجاورة لها تأثير(٨٨).

وعُني علماء العربية القدامى كثيراً بهذه الظاهرة، وخصصوا لها حيزا عظيما من كتبهم، ودرسوها تحت تسميات عديدة، من أهمها: الإدغام الجزئي، أو التقريب، أو البدل أو الإبدال، أو القلب، أو الإقلاب.

ويطلق سيبويه على هذه الظاهرة مصطلح المضارعة فيقول:" الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه أو من غيره. هَذَا بَاب الْحَرْف الَّذِي يُضارَع بِهِ حرفٌ من مَوْضِعه والحرف الَّذِي يُضارَع بِهِ ذَلِك الْحَرْف وَلَيْسَ من مَوْضِعه: فَأَما الَّذِي يُضارَع بِهِ الْحَرْف الَّذِي من مخرجه فالصادُ السّاكنة إِذا كَانَت بعْدهَا الدّال، وَذَلِكَ نَحْو أَصْدَرَ ومَصْدَر والتّصْدير؛ لِأَنَّهُمَا قد صارتا فِي كلمة وَاحِدَة... فَلَمَّا كَانَتَا من نفس الْحَرْف أجريتا مجْرى المضاعف الَّذِي هُوَ من نفس الْحَرْف من بَاب مَدَدْتُ؛ فَجعلُوا الأول تَابعا للْآخر فضارعوا بِهِ أشبهَ الْحُرُوف بالدّال من مَوْضِعه، وَهِي الزّاي لِأَنَّهَا مجهورة غير مُطْبَقَةٍ، وَلم يبدلوها زايا خَالِصَة كَرَاهَة الإجحاف بهَا

(٨٥) تلمُسُ أثر المماثلةِ في نموّ المعجم العربيّ: دراسةٌ صوتيّة معجميّة. دكتور مهدي أسعد عرار، بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية، العدد (١٠١)، (ص ٢٥٤).

(٨٦) ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي الشايب (ص١٩٠).

(٨٧) معجم علم الأصوات ، د. محمد على الخولي (ص١٦٣) .

(٨٨) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، (ص٣٢٩).

للإطباق... وَسَمعنَا الْعَرَب الفصحاء يجعلونها زايا خَالِصَة كَمَا جعلُوا الإطباق ذَاهِبًا فِي الإدغام وَذَلِكَ قَوْلنَا: فِي التّصدير التّزدير وَفِي القَصْد القَزْد وَفِي أَصْدَرْت أَزْدَرْت وَإِنَّمَا دعاهم إِلَى أَن يُقَرّبوها ويبدلوها إِرَادَة أَن يكون عَمَلهم من وَجه وَاحِد وليستعملوا ألسنتهم فِي ضرب وَاحِد إِذْ لم يصلوا إِلَى الإدغام وَلم يَجْسُروا على إِبْدَال الدّال صاداً لِأَنَّهَا لَيست بزائدة كالتّاء فِي افتعل والبيانُ عربيٌّ. (٨٩)

وتناول المحدثون (ظاهرة التماثل أو المماثلة) بالدرس والتحليل: حيث بينوا أنواع التأثر ودرجاته وصوره، فقد يكون بين صوتين: أحدهما مجهور والآخر مهموس، فيؤثر أحدهما على الآخر. مثال ذلك أن (الجيم) في كلمة (اجتمع) قد تتأثر في بعض صور النطق بالتاء المهموسة بعدها، فتتحول الجيم المهتزة إلى نظيرها غير المهتز، وهو (الكاف)، فتنطق الكلمة هكذا (اكتمع)، ثم قد يزيد التأثر أكثر من هذا، فتتحول إلى (شين) فتصير (اشتمع).

وقد يقع التأثر بين صوتين: أحدهما شديد أي مغلق والآخر رخو أي احتكاكي، فيؤثر أحدهما في الآخر تأثيراً يصل إلى حد الإدغام، انظر إلى الدال والذال في قولك: (قد ذكرك أخوك بخير) فإنك سوف تجد في الاستعمال اللغوي من ينطق العبارة وقد أثرت (الذال) الاحتكاكية على(الدال) المغلقة فصارت مثلها، حتى يصل هذا التأثر إلى إدغامهما هكذا (فذكرك أخوك).

وقد يؤثر الصوت المطبق على آخر ليس كذلك، فيصبح مطبقاً مثله، وذلك كالطاء في قولك: (سطرت الكتاب) فقد أثرت على (السين)، فانتقلت إليها صفة (الإطباق) حتى تجدك تنطقها صوتاً أقرب إلى الصاد هكذا (صطرت الكتاب...) الخ.

وقد يكون التأثير في مخرج الصوت أو مكان نطقه: وذلك ما نراه فيما سمى عند علماء التجويد (بالإقلاب)، فصوت (النون) الذي أعقبه صوت (الباء) قد تأثر بها إلى درجة أن مخرج النون لم يعد عند طرف اللسان وما يقابله، وإنما انتقل إلى الشفتين لتصبح النون، وكأنها (ميم)؛ وذلك لأن الميم أقرب مخرجا من (الباء) فهما من الشفتين، غير أن الباء أدخل من الميم.

وهكذا نرى مظاهر المماثلة، وآثار التأثر أكثر من أن تحصى في اللغة العربية واللهجات العربية القديمة وكذلك الحديثة، وأيضاً في قراءة القرآن الكريم التي بذل العلماء في تحديد المقبول منها وغير المقبول الجهد الكبير. (٩٠)

(٨٩) الكتاب: سيبويه (٤/ ٤٧٨)، المخصص: ابن سيده (٤/ ١٨٢).

(٩٠) ينظر: علم الصوتيات، د/ عبدالعزيز أحمد علام ، د/ عبدالله ربيع محمود (ص ١٥٣).

المبحث الثاني

(شوائب الحروف) ومعالجة عبد الوهاب القرطبي لآثار التجاور الصوتي

وهذا النوع من المماثلة الجزئية- التي تحدثنا عنها- هو الذي عالجه عبد الوهاب القرطبي تحت مسمى شوائب الحروف، والحقيقة أن هذه القضية هي محور كتاب الموضح، وكان الهدف منها هو التنبيه على الأخطاء أو الشوائب التي يمكن أن تنتج بسبب هذا التجاور، وكان هذا هو هدف علماء التجويد عموما؛ إذ كان هدفهم من وراء دراسة هذه الظاهرة، هو ضبط النطق، وتدريب آلة النطق على التلاوة الصحيحة للقرآن الكريم، والمحافظة على نطق الأصوات في حالتها التركيبية نطقا مستقيما دون خلط أو انحياد.

وهذا أيضا محور بحثنا، في هذا المبحث؛ فالبحث لن يدرس ظاهرة التجاور أو التماثل من كل زواياها، فهناك نوع من المماثلة أدى- بحسب القوانين الصوتية- إلى تغيير أقرته قواعد العربية، كالإدغام والإبدال والقلب وغير ذلك؛ وتحدث عنه القرطبي وعالجه، لكن مساحة البحث لا تكفي لدراسة كل هذه الظواهر، يقول القرطبي:" وهذا الضرب يعرض فيه عند الائتلاف والتجاور من الأحكام زيادة على وضع بسط الحروف؛ كالمد، والتشديد، والتليين، والإظهار، والإخفاء، والقلب، وما يدخل من شوائب الحروف بعضها على بعض، بسبب المناسبة بينها والمباينة والمقاربة والمباعدة".(٩١)

ولكن سيركز البحث على ما ينتج من التجاور من تغيير في الصفة أو المخرج؛ فيحيد بالصوت عن نطقه الصحيح، لذلك كان تعبير القرطبي (شوائب الحروف) تعبيرا دقيقا؛ فالشوائب جمع شائبة، وجاء في معجم المصباح المنير في تعريف الشائبة: " شَابَهُ شَوْبًا مِنْ بَابِ قَالَ خَلَطَهُ، مِثْلُ شُوِّبَ اللَّبَنُ بِالْمَاءِ فَهُوَ مَشُوبٌ... وَقَوْلُهُمْ لَيْسَ فِيهِ شَائِبَةُ مِلْكٍ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَأْخُوذًا مِنْ هَذَا، وَمَعْنَاهُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مُخْتَلِطٌ بِهِ وَإِنْ قَلَّ. (٩٢)، والمراد به عند القرطبي تأثر بعض الأصوات بصفات غيرها مما يشوبها الاختلاط والتداخل فيؤدي إلى الخطأ في النطق الصحيح للصوت، أو بحسب تعبير علماء التجويد اللحن الخفي. الذي تحدث عنه القرطبي في أول كتابه. فمعناها إذن عنده: الانحراف الصوتي التي يمكن أن تنتج من هذا التجاور.

ونرى أن استخدام القرطبي لمصطلح (شوائب الحروف)- إضافة إلى انفراده بهذا المصطلح- جاء موفقا ودقيقا إلى حد بعيد؛ حيث إن الصوت بالتجاور لا يماثل الصوت الآخر مماثلة تامة، وإنما يحدث له نوع من التشوه والشوب، الذي يجعله يميل إلى الصوت المجاور دون أن يماثله، فهو صوت مختلط بين الصوتين.

وفي ذلك يقول عبد الوهاب القرطبي:" فأما حسن التخلص من دخول شوائب الحروف بعضها على بعض؛ فيكون التنبيه عليه بعد ذكر السبب الموجب له، فنقول: السبب في ذلك أن يجتمع حرفان امتاز أحدهما عن الآخر

(٩١) الموضح في التجويد(ص ١٢٨).

(٩٢) المصباح المنير ، الفيومي (١ / ٣٢٦).

بمزية ما، إما بتفخيم أو إطباق أو تفش أو غير ذلك، مع إمكان تلك المزية فيه؛ لأن الحرف بسبب اتحاده مع ما جاوره يجذبه إلى حيزه ويسلبه المزية الخاصة به، أو يدخل معه فيها، **أو يحدث بينهما حرف يشبههما**، والذي ينبغي أن يعتمده القارئ في ذلك حسن التخلص منه، بإفراد كل منهما بمزيته، والتعمل لإيراده بخاصته.(٩٣)

وقد استخدم القرطبي هذا المصطلح ليدل على معنى خاص يتعلق بصفات الحروف التي يمكن أن تؤثر في الأصوات المجاورة؛ فالصوت المجهور يمكن أن يؤثر في الصوت المهموس، والصوت المطبق يمكن أن يؤثر على الصوت المنفتح، والصوت الأنفي (الأغن) يمكن أن يؤثر في الفموي.(٩٤)

ولم يكن عبد الوهاب القرطبي الوحيد بين علماء التجويد الذي عالج موضوع الشوائب؛ فهناك عدد من العلماء عالجوها، ولكن يمكن القول بأنه قد انفرد بهذا المصطلح؛ (شوائب الحروف).

وتكاد معظم الحالات التي رصدها علماء التجويد في موضوع الشوائب تندرج في الظواهر الصوتية التي لا يقرها الاستخدام اللغوي، حتى على مستوى اللهجات، وإنما اعتنى بها علماء التجويد حرصا منهم على تقديم صورة النطق الصحيح، وتوضيح ما يمكن أن يشوب ذلك النطق من شوائب الانحراف، بسبب تجاور الحروف في الكلام المتصل، وميلها إلى التماثل والاقتصاد بالمجهود... ويدل هذا على عمق النظرة في فهم تلك الظواهر التي لو سمح لها بالظهور؛ لأدت إلى تطور النطق العربي دون ضوابط واضحة، ولتغير نطق القرآن الكريم، وهو ما جاهد علماء التجويد في كل عصورهم من أجل الحيلولة دون وقوعه.(٩٥)

يقول الداني:" والحروف المهموسة إذا لقيت الحروف المجهورة، والحروف المجهورة إذا لقيت الحروف المهموسة فيلزم تعمل تلخيصها وبيانها، لئلا ينقلب المهموس إلى لفظ المجهور، والمجهور إلى لفظ المهموس، فتختل بذلك ألفاظ التلاوة وتتغير معانيها"(٩٦).

وعبارة القرطبي في ذلك: وبالجملة الحروف المهموسة إذا لقيت الحروف المجهورة، والمجهورة إذا وليتها المهموسة وجب أن يتعمل لتلخيصها وبيانها لئلا ينقلب المجهور إلى المهموس، ويدخل المهموس على المجهور فتختل بذلك ألفاظ التلاوة وتتغير طلاوتها. (٩٧)

وسيدرس البحث ما جاء عند القرطبي تحت هذا العنوان: شوائب الحروف؛ ومن شوائب الحروف التي نبه عليها القرطبي ما يلي:

(اللام المرققة) وما قد يعتريها من تفخيم بسبب مجاورتها (اللام المفخمة) (في لفظ الجلالة) أو حروف (الإطباق والاستعلاء).

يقول القرطبي:" فمن ذلك اللام إذا أتت قبل اسم الله تعالى المخالفة لامه بالتفخيم سائر

(٩٣) الموضح في التجويد(ص ١٧٧).

(٩٤) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، (ص ٣٤٢).

(٩٥) السابق (ص ٣٤٢ ، ٣٤٣).

(٩٦) التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو الداني (١/ ١٣٣).

(٩٧) الموضح في التجويد(ص١٩٠).

اللامات، خلَّصت اللام الأولى من تفخيم لام اسم الله تعالى، تخليصا سهلا، وتوقَّيت سبق التفخيم إلى اللام الأولى للقرب والمجاورة، كقوله تعالى: **(قَالَ اللَّهُ)**" [آل عمران:٥٥] و**(أَنْزَلَ اللَّهُ)** [النساء:٦١] " ... ونحو ذلك، ومتى كانت اللام الأولى مشددة وجب أن يكون التوقي لذلك أشد، نحو قوله تعالى:**(مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ)** [النساء:٨٨]. **(وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ)** [البقرة: ٢٧٥]... وما أشبه ذلك، لأن التفخيم مع التشديد أسبق إلى اللسان وهو لحن إلا لقوم ذلك لغتهم". وكذلك اللام إذا جاورت حرفا من حروف الاستعلاء(٩٨) أو الإطباق(٩٩) نحو قوله تعالى: (**ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ)** [إبراهيم: ١٨]، و **(الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ)** [البقرة:٢٢٩] **(وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى)** [النساء:٢٣٨]... وما أشبه ذلك، وجب حراسة اللام أن يجاوز بها حرف الإطباق والاستعلاء من الترقيق إلى التغليظ، وهو مرذول عند الجمهور إلا لمن ذلك لغته"(١٠٠).

والقرطبي في هذا النص يبين أن اللام المرققة قد تكتسب التفخيم بسبب مجاورتها لام لفظ الجلالة، خاصة إن كانت مشددة، فينبغي أن يكون التوقي هنا أشد، ويستشهد بعدة آيات على هذا الأمر حتى يكون القارئ على حذر من الوقوع في اللحن، وقراءة الآية على غير طريقة نطقها الصحيح، وكذلك إذا جاورت حرفا من حروف الاستعلاء أو الإطباق.

واللام صوت مرقق بطبيعته، ولكنه ينفرد بأحكام خاصة من حيث الترقيق والتفخيم في لفظ الجلالة "الله" وحده، فهو في هذا اللفظ يفخم إذا سبق بضم أو فتح، ولكنه يرقق إذا جاء بعد كسر نقول: "دَعَوُا اللَّهَ" و "باركَ اللهُ فيك" بالتفخيم، ولكن: (بسمِ الله الرحمن الرحيم) بالترقيق(١٠١).

يقول مكي ابن طالب: " وإذا وقع بعد اللام... لام أخرى مفخمة أو حرف إطباق، وجبت المحافظة على ترقيق اللام الأولى، لئلا تفخم لأجل التفخيم الذي بعدها، ويسارع اللسان إلى ذلك ليعمل عملا واحدا، فلا بدَّ من التحفظ بترقيق اللام الأولى(١٠٢).

يقول ابن الجزري: وإذا جاورت اللام لاماً مغلظة فتعمل في بيانها وتخليصها، وإلا فخمت ما لا يجوز تفخيمه، كقوله: **(قَالَ اللَّهُ)**" [آل عمران:٥٥]. وكذلك إن لاصقها حرف إطباق، فبين

---

(٩٨) حروف الاستعلاء، وهي سبعة، منها حروف الإطباق، والغين والخاء والقاف، وسميت بذلك؛ لأن الصوت يعلو عند النطق بها إلى الحنك، فينطبق الصوت مستعلياً بالريح مع طائفة من اللسان مع الحنك، هذا مع حروف الإطباق، ولا ينطبق الصوت مع الغين والخاء والقاف، وإنما يستعلي الصوت غير منطبق. ينظر: التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، (ص٩٠).

(٩٩) حروف الإطباق، وهي أربعة أحرف: الطاء والظاء والصاد والضاد، سميت بذلك لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها، مع استعلائها في الفم، وبعضها أقوى من بعض؛ فالطاء أقواها في الإطباق وأمكنها، لجهرها وشدتها. والظاء أضعفها في الإطباق، لرخاوتها وانحرافها إلى طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا. والصاد والضاد متوسطتان في الإطباق. ينظر: التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، (ص٩٠).

(١٠٠) الموضح في التجويد (ص ١٧٨).

(١٠١) دراسات في علم اللغة : كمال بشر (ص ٢١٠).

(١٠٢) الرعاية ، مكي بن أبي طالب (ص١٨٩).

ترقيقها، نحو: (**مَا اخْتَلَطَ**) [الأنعام: ١٤٦] و(**لَسَلَّطَهُمْ**)[النساء:٩٠] ونحوه، ومع ذلك فلا بد من تفخيم اسم (الله) تعالى إذا كان قبله ضمة أو فتحة، ومن ترقيقه إذا كان قبله كسرة. (١٠٣) وبمثل هذا قال أبو عمرو الداني (١٠٤).

والفرق بين اللام المرققة والمفخمة، يوجد في وضع مؤخرة اللسان بالنسبة للاثنين؛ إذ إنها ترتفع ناحية الطبق، في حالة اللام المفخمة، وتنخفض إلى قاع الفم في حالة اللام المرققة، فالفرق بين نطق اللامين هو نفس الفرق بين صوتي السين والصاد (١٠٥).

وبحسب قانون تأثير الأقوى في الأضعف؛ فالقوي إذا تقدم الضعيف وهو مجاوره جذبه إلى نفسه... ليعمل اللسان عملاً واحداً (١٠٦). فإن الترقيق أضعف من التفخيم، فكان تنبيه القرطبي على مراعاة ترقيق اللام حتى لا يشوبها التفخيم، بمجاورتها اللام المفخمة، أو حروف الاطباق والاستعلاء.

(السين): وما قد يعتريها لمجاورتها حرفا من حروف (الإطباق أو الاستعلاء أو الراء المفخمة).

يقول القرطبي: "ومن ذلك: السين إذا كانت ساكنة مع حرف من حروف الإطباق في كلمة ؛كقوله تعالى (**وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ**)[الإسراء: ٣٥]، (**فَمَا اسْطَاعُوا**)[الكهف:٩٧]... وكذلك إن تحركت في مثل قوله: (**بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ**)[الشورى: ٢٧]، و(**بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ**)[المائدة:٢٨]؛ فتوصل إلى تخليص السين من الإطباق في رفق وتؤدة؛ لئلا تصير صادا بالقرب من حروف الإطباق.

وكذلك إن أتى قبله أو بعده حرف من حروف الاستعلاء، مثل قوله تعالى: (**لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**) [القيامة:١]... (**وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ**) [إبراهيم:١٧]... فتوصل إلى اللفظ به برقة في حال سكونه وحركته، كراهية أن يتحول صادا؛ لأن مجاورة الاستعلاء كمجاورة الإطباق.

وكذلك إن اتصل براء مفخمة توصل إلى النطق به في رقة ورفق؛ لئلا يصير صادا بتفخيم الراء، لأن التفخيم والإطباق والاستعلاء من واد واحد في مثل قوله تعالى: (**سَرْمَدًا**)[٧١،٧٢]، و(**وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ**) [سبأ:١١]". (١٠٧)

يبين القرطبي في هذا النص أن السين عند مجاورتها حرفا من حروف الإطباق أو الاستعلاء، أو مجاورتها الراء المفخمة، قد تتحول إلى الصاد.

---

(١٠٣) التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، (ص ١٤٢/ ١٤٣).

(١٠٤) التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو الداني (١/ ١٦١).

(١٠٥) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. د: رمضان عبد التواب (ص ٤٨).

(١٠٦) ينظر: التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، (ص١١٣)، والرعاية ، مكي بن أبي طالب (ص٢٠٦).

(١٠٧) الموضح في التجويد (ص ١٧٨ ، ١٧٩).

السين: حرف صفير مهموس. [١٠٨]، **يقول مكي بن أبي طالب:** السين حرف مؤاخٍ للصاد؛ لاشتراكهما في المخرج والصفير والهمس والرخاوة، ولولا الإطباق والاستعلاء اللذان في الصاد– ليسا في السين – لكانت الصاد سينا. وكذلك لولا التسفل والانفتاح اللذان في السين– ليسا في الصاد– لكانت السين صادا.[١٠٩]

ويقول ابن الجزري: وإذا أتى بعد السين حرف من حروف الإطباق، سواء كانت ساكنة أو متحركة، وجب بيانها في رفق وتؤدة، وإلا فصارت صاداً بسبب المجاورة، لأن مخرجهما واحد... وينبغي أن يبيَّن صفيرها أكثر من الصاد؛ لأن الصاد بيِّن بالإطباق، نحو **(بَسْطَةً)** [البقرة:٢٤٧] و**(مَسْطُورًا)** [الإسراء:٥٨]... فتلفظ بها في حالي سكونها وتحريكها برفق ورِقَّة. وإذا سكنت وأتى بعدها جيم أو تاء فبينها، نحو **(مُسْتَقِيمٌ)** [مريم:٣٧]، و**(مَسْجِدٍ)** [الأعراف:٢٩]، ونحو ذلك، ولو لم تبينها لالتبست بالزاي للمجاورة... [١١٠].

والعلة الصوتية التي تؤدي إلى تحويل السين إلى صاد في هذه الحالات تكمن في تأثير القوة والضعف، وفي هذا ينقل السيوطي عن أبي محمد البطليوسي في كتاب الفرق بين الأحرف الخمسة: كلُّ سينٍ وقعت بعدها عين أو غين أو خاء: أو قاف أو طاء، جاز قلبها صادا مثل: يُساقون ويصاقون، وصَقْر وسَقْر... وشرطُ هذا الباب أن تكون السينُ متقدَّمةً على هذه الحروف لا متأخرة بعدها، وأن تكونَ هذه الحروفُ مُقارِبةً لها لا متباعدة عنها، وأن تكون السين هي الأصل؛ فإن كانت الصاد هي الأصل لم يجز قلبها سينا؛ لأن الأضْعفَ يُقْلَب إلى الأقوى ولا يُقْلَب الأقوى إلى الأضْعَف، وإنما قلبوها صادا مع هذه الحروف؛ لأنها حروف مستعلية، والسين حرف متسفل؛ فثقل عليهم الاستعلاء بعد التسفل؛ لما فيه من الكُلْفة؛ فإذا تقدم حرفُ الاستعلاء لم يُكْرَه وقوعُ السين بعدَه؛ لأنه كالانْحِدار من العلو، وذلك خفيفٌ لا كُلْفةَ فيه. [١١١]

(الصاد): وما قد يعتريها بسبب مجاورتها مع (الطاء والتاء والدال).

يقول القرطبي: " الصاد إذا سكنت قبل الطاء في مثل قوله تعالى: **(وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي)**[طه:٤١]. **(لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ)** [النمل:٧]... فصفِّ الصاد، واجهر بالطاء، وأعطهما حظهما من الإطباق، وإلا صارت الصاد سينا، والطاء تاء، لفرار اللسان من إطباقين؛ لأن ذلك في الثقل يشبه مشي المقيد، ولذلك أدغم مثله.

وكذلك الصاد إذا أسكنت ووليتها التاء في مثل قوله تعالى:**(وَلَوْ حَرَصْتُمْ)**[النساء:١٢٩]، وما أشبهه، ينبغي أن تحفظ إطباق الصاد من همس التاء. وهمس التاء من إطباق الصاد ؛

---

(١٠٨) التحديد في الإتقان والتجويد: أبو عمرو الداني (١٤٩/١).

(١٠٩) الرعاية ، مكي بن أبي طالب (ص٢٠١).

(١١٠) التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، (ص ١٢٧، ١٢٨). وينظر: التحديد في الإتقان والتجويد: أبو عمرو الداني (١/ ١٤٩).

(١١١) المزهر في علوم اللغة: السيوطي (١/ ٣٦٢).

لئلا تصير الصاد سينا أو تصير التاء طاء وكل ذلك مكروه.

وكذلك إذا سكنت أيضا قبل دال في مثل قوله: **(وَمَنْ أَصْدَقُ)**[النساء:٨٧]، و**(وَتَصْدِيَةً)** [الأنفال:٣٥]... أخلص إطباقها، وإلا صارت زايا؛ لأن الزاي أخت الصاد في الصفير وأخت الدال في الجهر؛ فالدال تجذب الصاد إليها، وهو قبيح عند الجماعة، ما خلا حمزة والكسائي فإنهما يلفظان بالصاد مشوبة زايا.(١١٢)

يبين القرطبي من خلال هذا النص أن الصاد إن كانت ساكنة وجاء بعدها الطاء؛ فيجب الحذر من تحويلها إلى سين وتحويل الطاء إلى تاء، وكذلك إن جاء بعدها تاء؛ فإنها أيضا قد تتحول إلى سين، وتتحول التاء إلى طاء، وكذلك إن جاءت ساكنة قبل دال فإنها قد تتحول إلى زاي.

والصاد: حرف صفير مهموس، مطبق، مستعل (١١٣).

يقول مكي بن أبي طالب:" فيجب على القارئ أن يصفي لفظ الصاد، ويعطيها حقها من الإطباق والاستعلاء اللذين فيها، وبهما خرجت من أن تكون سينا، وإن لم يفعل ذلك بالصاد خرج إلى لفظ السين لقربها منها وشبهها بها؛ فاللسان لا ينزع من لفظ الصاد إلا إلى لفظ السين، ولا من لفظ السين إلا إلى لفظ الصاد؛ فيجب التحفظ من ذلك بإظهار الصفير في السين، وإظهار الإطباق في الصاد؛ فبهاتين الصفتين يفترقان".(١١٤)

ويقول ابن الجزري: وإذا سكنت الصاد وأتى بعدها دال فلا بد من تخليصها وبيان إطباقها واستعلائها، وإلا صارت زاياً، كقوله: **(أَصْدَقُ)**[النساء:٨٧]... إلا من مذهبه التشريب. وإن أتى بعدها طاء فلا بد أيضاً من بيان إطباقها واستعلائها، وإلا صارت زاياً، كقوله: **(اصْطَفَى)** [النمل:٥٩]... وشبهه. وإذا أتى بعدها تاء فلا بد من بيان إطباقها واستعلائها، وإلا بادر اللسان إلى جعلها سينا؛ لأن السين أقرب إلى التاء من الصاد إلى التاء كقوله: **(وَلَوْ حَرَصْتَ)** [يوسف:١٠٣]... ونحوه.(١١٥)

والعلة الصوتية فيما ذكره القرطبي من تحول الصاد عند مجاورتها الطاء والتاء إلى سين، هو التخفف من الثقل الذي يمكن أن يحدث من اجتماع إطباقين؛ فالصاد والطاء حرفان مطبقان، فيمكن أن يستثقل اللسان ذلك فيميل إلى السهولة، ويتحول الصاد المفخم إلى نظيره المرقق السين، ويتحول الطاء المفخم إلى نظيره المرقق التاء.

وأما تحول الصاد إلى زاي عند مجاورته الدال؛ فيقول ابن دريد:" إذا جاورت الصادُ الدال والصادُ متقدمة؛ فإذا سكنتِ الصّادُ ضَعُفَت فيحوّلونها في بعض اللغات زايا؛ فإذا تحركت ردوها إلى لفظها؛ مثل قولهم: فلان يَزْدُق في

(١١٢) الموضح في التجويد (ص ١٧٩، ١٨٠).
(١١٣) التحديد في الإتقان والتجويد: أبو عمرو الداني (١/ ١٤٧).
(١١٤) الرعاية ، مكي بن أبي طالب (ص٢١٥).
(١١٥) التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، (ص ١٢٩).

كلامه، فإذا قالوا صدَق قالوها بالصاد لتحركها، وقد قرئ "حتى يَزْدُر الرِّعاء" بالزاي. (١١٦)

وقد روي عن قبيلة طيئ أنها كانت تجهر السين والصاد... وقد دل اللغويون على هذا الجهر فيهما بقلبهما زايا، فقالوا: إن طيئا تقول في: سقر: زقر، وفي الصقر: زقر، وفي الصراط: زراط. والزاي هي المقابل المجهور للسين. أما المقابل المجهور للصاد، فهو الزاي المفخمة التي تشبه نطق العوام للظاء، في مثل كلمة: ظلم. وأغلب الظن أن الطائيين كانوا ينطقون الصاد نطقا مماثلا لهذا النطق، غير أن اللغويين دلوا عليه بالزاي المرققة، لعدم وجود رمز للزاي المفخمة في الكتابة العربية، وإن كان هؤلاء اللغويون يتحدثون عما يسمونه بإشمام الصاد صوت الزاي، فقد قرأ كل من حمزة والكسائي وخلف ورويس قوله تعالى: (حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ) [القصص:٢٣]، وقوله عز وجل: (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا) [الزلزلة:٦] بإشمام الصاد زايا(١١٧). وقد سمى ابن سينا هذا النطق: "الزاى الظائية" وقال عن نطقها: "يكون وسط اللسان فيها أرفع، والاهتزاز في طرف اللسان خفي جدا" (١١٨). وهذا ما أشار إليه القرطبي بقوله : فإنهما يلفظان بالصاد مشوبة زايا. (١١٩) فالقرطبي يقصد أنها ليست زايا خالصة. وهي التي قال فيها ابن جني:" وأما الصاد التي كالزاي؛ فهي التي يقل همسها قليلا، ويحدث فيها ضرب من الجهر، لمضارعتها الزاي. (١٢٠)

يقول سيبويه:: كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا صدر، فجعلوها بين الزاي والصاد، فقربها من الزاي والصاد التماس الخفة.(١٢١)

وجاء في تاج العروس:" قال ابنُ سِيدَه: وعِنْدِي أَنَّ الزَّايَ مُضَارعة وإِنما أَصلُها الصَّاد... وقُرِئ: **(يَوْمَئذ يَزْدُر النَّاسُ أَشْتَاتا)**[الزلزلة:٦] وسائِر القُرَّاءِ قَرَؤُوا " يَصْدُر" وهو الحَقّ. قال شيخُنَا: أَما إِشْمام صادِه زاياً فهي قراءَة حَمْزَةَ والكِسَائِيّ. وأمّا قِرَاءَةُ الزَّاي الخالِصَة فلا أَعْرِفُهَا وإِن ثَبَتَتْ فهي شاذَّةٌ ".(١٢٢)

يقول ابن الجزري: " (وَاخْتَلَفُوا) فِي: مُصَدِّقٌ (وَتَصْدِيقَ) وَ (يَصْدِفُونَ) وَ (فَاصْدَعْ) وَ (قَصْدُ) وَ (يُصْدِرَ) وَمَا أَشْبَهَهُ، إِذَا سَكَنَتِ الصَّادُ وَأَتَى بَعْدَهَا دَالٌ، فَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ، بِإِشْمَامِ الصَّادِ الزَّايَ، وَافَقَهُمْ رُوَيْسٌ فِي (يُصْدِرَ)، وَهُوَ فِي الْقَصَصِ وَالزَّلْزَلَةِ. وَاخْتُلِفَ عَنْهُ فِي غَيْرِهِ، فَرَوَى عَنْهُ النَّخَّاسُ وَالْجَوْهَرِيُّ كَذَلِكَ بِالْإِشْمَامِ

---

(١١٦) جمهرة اللغة: أبو بكر بن دريد (١/ ٥١)، والمزهر: السيوطي (١/ ١٥٦).

(١١٧) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، الدمياطيّ (ص ٥٩٤).

(١١٨) بحوث ومقالات في اللغة: رمضان عبد التواب (٢٣٥). وهو من جملة أصوات العامية المصرية، وهو الصوت الأول في نطقنا العامي لكلمة "ضابط". ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د: محمود السعران (ص ١٤٦).

(١١٩) الموضح في التجويد (ص ١٧٩، ١٨٠).

(١٢٠) سر صناعة الإعراب: ابن جني (١/ ٦٥).

(١٢١) الكتاب سيبويه (١١٧/٤).

(١٢٢) تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى، الزَّبيدي (١١ / ٤١٨) .

جَمِيعَ ذَلِكَ، وَبِهِ قَطَعَ ابْنُ مِهْرَانَ بِهِ، وَرَوَى عَنْهُ أَبُو الطَّيِّبِ وَابْنُ مِقْسَمٍ بِالصَّادِ الْخَالِصَةِ، وَبِهِ قَطَعَ الْهُذَلِيُّ وَبِذَلِكَ قَرَأَ الْبَاقُونَ. (١٢٣)

(الدال) وما قد يعتريها عند مجاورتها (الخاء والحاء والجيم والقاف والراء والفاء والصاد).

يقول القرطبي: الدال إذا وليتها الخاء والحاء والجيم والقاف والراء والفاء ومثلهن، فينبغي أن تظهر جهرهما، وإلا صارت تاء؛ كقوله: **(يَدْخُلُونَ)** [النصر:٢]... و**(لَا تَدْرِي)** [الطلاق:١]...**(مَدْحُورًا)** [الأعراف:١٨]، **﴿وَلَقَدْ قَالَ﴾** [طه:٩٠]... لأن هذه الحروف لا تخلو عن همس يجذبها إلى التاء، أو شدة تفر بالقارئ إليها، أو جهر يخرجها نحوها.

وكذلك الدال بعد الصاد الساكنة في مثل قوله تعالى: **(حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ)** [القصص:٢٣] وقوله: **(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ)** [الحجر:٩٤] متى لم تحفظ بالبيان انقلبت طاء لمجاورتها إطباق الصاد. (١٢٤)

يبين القرطبي أن الدال إن جاءت قبل الخاء والحاء والجيم والقاف والراء والفاء وأمثالهن، فقد تتحول إلى تاء، وكذلك إن جاءت بعد الصاد، فقد تتحول إلى طاء.

الدال: صوت شديد مجهور مرقق... وأما التاء: فهي نظير الدال المهموس، أي أنها صوت شديد مهموس مرقق... وأما الطاء: فهي كما ينطق بها اليوم، تقابل التاء في الترقيق، والتفخيم، أي أنها صوت شديد مهموس مفخم، ولا فرق بينهما إلا في أن مؤخرة اللسان، ترتفع نحو الطبق عند الطاء، ولا ترتفع نحوه في نطق التاء. (١٢٥)

من هنا يسهل التحول بينهما، خاصة مع تجاور الأصوات التي تؤدي إلى هذا التحول، ويبين القرطبي العلة الصوتية في تحول الدال إلى تاء إن جاورت هذه الحروف، فيقول: لأن هذه الحروف لا تخلو عن همس يجذبها إلى التاء، أو شدة تفر بالقارئ إليها، أو جهر يخرجها نحوها.

فهذه الحروف منها ما هو مهموس فيؤدي تجاورها إلى تحول الدال إلى تاء، وتفقد صفة الجهر الذي يميزها عن التاء، ومنها ما هو شديد، والدال صوت شديد فيفر القارئ إلى النظير المهموس التاء من باب التخفيف، ومنها ما هو مجهور فيفر القارئ أيضا إلى التاء المهموس.

يقول مكي بن أبي طالب: الدال لولا الجهر الذي فيه لكان تاء؛ إذ المخرج واحد، وقد اشتركا في الشدة والتسفل والانفتاح. (١٢٦)

ويقول أبو عمرو الداني: الدال: إن التقى بالحاء والخاء والراء والقاف والفاء وغيرهن، فينبغي أن يتعمل جهوره، وإلا صار تاء. (١٢٧)

والابدال بين الدال والتاء موجود في لغة العرب؛ ويورد ابن السكيت عددا من الألفاظ التي حدث فيها إبدال بين الدال والتاء منها:

---

(١٢٣) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (٢/ ٢٥٠،٢٥١).

(١٢٤) الموضح في التجويد (ص ١٨٠، ١٨١).

(١٢٥) المدخل إلى علم اللغة. د. رمضان عبد التواب (ص ٤٦).

(١٢٦) الرعاية، مكي بن أبي طالب (ص٢١٥).

(١٢٧) التحديد في الإتقان والتجويد: أبو عمرو الداني (١/ ١٤١).

السدى والستى لسدى الثوب، وهو الأسدي والأستي... جئتنا بدولاتك وتولاتك، وهي الدواهي، والواحدة دولة وتولة على مثال تخمة. ويقال مدر بسلحة ومتر به يمدر ويمتر. وحكى مدهته ومتهته في معنى مدحته... ويقال: قد أعتد له وأعد له من العدة... ويقال: سبنداة وسبنتاه للجريئة. ويقال: للنمر سبندى وسبنتى. ويقال: هرت فلان الثوب وهرده إذا خرقه. وكذلك يقال: هرت عرضه وهرده. والتولج والدولج الكناس. وقد مد في السير ومت، وهو الدفتر وبنو أسد يقولون التفتر.(١٢٨)

وأما تحول الدال إلى طاء لمجاورتها الصاد؛ فلأن الطاء والصاد من حروف الإطباق، فربما يميل اللسان إلى نطق الدال طاء تأثرا بإطباق الصاد. وهو نوع من الفرار من الثقل والنزوع إلى التخفيف وتحقيق الانسجام الصوتي.

ويورد ابن السكيت عددا من الألفاظ التي حدث فيها إبدال بين الدال والطاء منها:" يقال: قطني من هذا أي حسبي، وأهل نجد يقولون: قدني... يقال: مد الحرف ومطه ومطاه بمعنى واحد...ويقال: بطغ الرجل وبدغ إذا تلطخ بعذرته... ويقال: ما له عندي إلا هذا فقد، وإلا هذا فقط، وهو الإبعاد والإبعاط ... وقال أبو عبيدة: الميدى والميطى، والميدان والميطان، حولوا الدال طاء، وقال الفراء، قال أبو خالد قدك. وقال غيره: قطك معناه حسبك" (١٢٩)

(الذال): وما قد يعتريها بسبب مجاورتها مع الراء المفخمة والكاف والقاف واللام المفخمة والعين.

يقول القرطبي: " الذال: إذا لقيت الراء المفخمة في مثل قوله تعالى: **(أَنْذَرَهُمْ)** [القمر:٣٦]... **(حَذَرَ الْمَوْتِ)**[البقرة:١٩]... وما أشبه ذلك، لزم القارئ بيانها وتلخيص إنعامها، ولفظ بها رقيقة، وبالراء مفخمة، ولا يغفل ذلك؛ لئلا تنقلب الذال ظاء من أجل تفخيم الراء؛ لأن التفخيم نظير الإطباق، أو تَرقُّ الراء إذا لخُصت هي، وحقها التفخيم، وكلاهما من اللحن الخفي.

وكذلك إذا أتت بعدها الكاف في مثل: **(يَذْكُرُونَ)** [آل عمران:١٩١]، **(وَاذْكُرْ)** [الأعراف:٢٠٥]. وجب أن تصان عن شائبة الثاء؛ لأن الثاء من مخرج الذال، وهي أخت الكاف في الهمس، والذال مجهورة فلا يؤمن من أن يجذبها همس الكاف إلى الثاء؛ لقرب الثاء من الذال في المخرج، ومشاركتها للكاف في الهمس.

وكذلك إذا صاقبتها القاف في مثل قوله تعالى: **(ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)** [الأنبياء:٣٥]... فرقق اللفظ بها واحرسها من شائبة الظاء لقرب المخرج، وكون الاستعلاء والإطباق متقاربين.

وكذلك قوله تعالى: **(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ)** [آل عمران:٨١]. وما أشبهه من الذال المجاورة للام المفخمة، ينبغي أن تحمى عن شائبة الظاء؛ لأن التفخيم نظير الإطباق؛ فهو أبدا يجذب الذال إلى إطباق الظاء.

وكذلك مع العين لئلا تصير ثاء في نحو **(مُذْعِنِينَ)** [النور:٤٩] و **(جِذْعِ النَّخْلَةِ)** [مريم:٢٣]. للقرب والمساواة في الجهر، وهذا

(١٢٨) القلب والإبدال: ابن السكيت(١٦).
(١٢٩) السابق(١٤).

ليس بالقوي؛ لأنه لم يكثر كثرة غيره فضعف تعليله. (١٣٠)

يبين القرطبي أن (الذال) قد تتحول إلى (ظاء) إن جاورت الراء المفخمة، أو القاف، أو اللام المفخمة، كما أنها قد تتحول إلى (ثاء) إن جاورت الكاف أو العين.

والذال والظاء والثاء مخرجهما واحد؛ لذلك يسهل على اللسان التحول بينهما، وقد عد الخليل بن أحمد (الذال والثاء والظاء) أصواتا لثوية، وقال: "لأن مبدأها من اللثة"(١٣١)، كما تابعه على ذلك بعض النحاة، كابن يعيش الذي يقول: "والظاء والذال والثاء من حيز واحد، وهو ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا، وبعضها أرفع من بعض، وهي لثوية؛ لأن مبدأها من اللثة"(١٣٢)، وقد روى سيبويه فقال: "وما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء"(١٣٣).

أما في الدرس الصوتي الحديث فهي أصوات أسنانية؛ لأنها تخرج من طرف الأسنان (العليا والسفلى)، وهي أهم الأعضاء التي تعيق مجرى الهواء عند خروجها، ويشاركها طرف اللسان في ذلك؛ ولذلك قد يطلق على مخرجها بين أسنانية.(١٣٤)

(١٣٠) الموضح في التجويد (ص١٨١، ١٨٢).
(١٣١) العين للخليل بن أحمد (١/ ٥٨).
(١٣٢) شرح المفصل لابن يعيش (١٠/ ١٢٥).
(١٣٣) الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٣٣) .
(١٣٤) ينظر: مقدمة في علم أصوات العربية. د. عبد الفتاح البركاوي (ص١٠٢). الطبعة الثالثة١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤ م.

والذال: نظير الثاء المجهور، أي أنه صوت رخو مجهور مرقق... وقد ضاع صوت الذال في اللهجة العامية المصرية، وحل محله الدال، نحو: ذهب دهب، ذيل ديل، أو الزاي، نحو: ذكر زكر، ذل زل.

وأما الظاء: فإنه نظير الذال المفخم، أي أنه صوت رخو مجهور مفخم... يقول ابن جني: " ولولا الإطباق في الظاء لكانت ذالا "(١٣٥).

والثاء: صوت رخو مهموس مرقق... وليس هناك نظير مفخم لهذا الصوت في اللغة العربية. (١٣٦)، وصوت الثاء من الأصوات التي فقدت في اللهجة العامية، واستعيض عنه فيها بالتاء، نحو: ثقيل– تقيل، أو السين في الكلمات الثقافية، نحو: ثابت– سابت. (١٣٧)

فهذا التجانس والتقارب في الصفات بين الذال وبين الظاء والثاء يسهل التناوب في

(١٣٥) سر صناعة الإعراب: ابن جني (١/ ٢٥٤).
(١٣٦) يخطئ د. رمضان عبد التواب: د. السعران، حين قال عن صوت الظاء "إنه مطبق الثاء، أي أن بين هذا الصوت "الظاء" وبين الثاء، ما بين الصاد والسين". المدخل إلى علم اللغة (ص ٤٤)، ولكن نص د. السعران في كتابه: علم اللغة (ص١٤٥):" والنظير المهموس للظاء ليس من جملة الأصوات العربية، ويمكن تقريبه بأن نقول إنه "مطبق الثاء"، أي أن بين هذا الصوت وبين الثاء ما بين الصاد والسين مثلا ". وهو –كما هو واضح من كلامه– يحاول أن يقرب النظير المهموس للظاء، ولا يقول بأنه الثاء، وليس الأمر كما ظن د. رمضان عبد التواب من كلامه.
(١٣٧) المدخل إلى علم اللغة. د. رمضان عبد التواب (ص ٤٤ ، ٤٥).

نطقها، خاصة إن تجاورت الذال مع الراء المفخمة، أو القاف، أو اللام المفخمة، فربما مالت الذال إلى الظاء المفخمة؛ لموافقة التفخيم الذي في هذه الأحرف. وإن تجاورت الذال مع الكاف أو العين، فإنها ربما تميل إلى الثاء، لموافقة الهمس الذي في الكاف، والرخاوة والترقيق في العين.

يقول أبو عمرو الداني: الذال: وهو حرفٌ مجهورٌ... فإن التقى بالراء فيلزم إنعام بيانه، وتكلف تلخيصه، ويلفظ به رقيقاً وبالراء بعده مفخمةً، ولا يتساهل في ذلك، وإلا ربما انقلبت الذال ظاءً. إذا اجتمعت، إذا فخمت الراء، أو رققت الراء إذا لخصت هي، ومنعت من الإطباق والاستعلاء كما يجب، وكلا الأمرين لحنٌ لا يجوز، وذلك نحو قوله تعالى: **(أَنْذَرْتُكُمْ)** [فصلت:١٣]... وشبهه.

وكذا ينبغي تلخيصه عند الكاف في نحو:**(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا)** [آل عمران:١٩١]... وشبهه، وإلا انقلب ثاء. للمؤاخاة التي بين الثاء والكاف في الهمس. وكذا يجب أن يلخص في نحو **(مُذْعِنِينَ)** [النور:٤٩]... وشبهه.(١٣٨)

(الضاد) وما قد يعتريها بسبب مجاورتها مع (الذال أو الظاء).

يقول القرطبي: الضاد: متى وليتها ذال وجب تخليص إحداهما من الأخرى في مثل قوله تعالى: **(لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا)** [الملك:١٥]. و**(مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا)** [آل عمران:٩١]... لقرب مخرج الذال من الظاء، وانفراد الضاد بالإطباق، فربما شاب الذال إطباق الضاد؛ فتصير ظاء أو قريبة من الظاء.

وكذلك إذا لقيتها ظاء أو قاربتها في مثل قوله تعالى: **(أَنْقَضَ ظَهْرَكَ)**[الشرح:٣]**(يَعَضُّ الظَّالِمُ)** [الفرقان:٢٧]، وما أشبهه، وجب إفراد كل منهما بتحقيق مخرجه؛ لأنهما يشتركان في الإطباق، وتنفرد الضاد بالتفشي والاستطالة، ومتى لم يضبط المخرج ويحفظ بالتفشي، انقلبت ظاء بانجذابها إلى إطباقها.(١٣٩)

يشير القرطبي إلى أن الضاد إذا جاورتها الذال، فإنها يمكن أن تتحول إلى ظاء لقرب مخرجيهما، فيشوبها الإطباق؛ فتتحول إلى ظاء أو قريب منها، وكذلك إذا جاورتها ظاء، فينبغي التوقي، وإفراد كل منهما بمخرجه، حتى لا تتحول الضاد إلى ظاء.

وصوت الضاد من الأصوات التي حيرت علماء الأصوات والتجويد قديما وحديثا؛ يقول ابن الجزري: واعلم أن هذا الحرف ليس من الحروف حرف يعسر على اللسان غيره، والناس يتفاضلون في النطق به؛ فمنهم من يجعله ظاء مطلقاً؛ لأنه يشارك الظاء في صفاتها كلها، ويزيد عليها بالاستطالة؛ فلولا الاستطالة واختلاف المخرجين لكانت ظاء، وهم أكثر الشاميين وبعض أهل المشرق. وهذا لا يجوز في كلام الله تعالى، لمخالفة المعنى الذي أراد الله تعالى، إذ لو قلنا:**(الضَّالِّينَ)** بالظاء كان

(١٣٨) التحديد في الإتقان والتجويد: أبو عمرو الداني (١/ ١٤٥). وينظر: التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، (ص ١٢٤).

(١٣٩) الموضح في التجويد (ص ١٨٢، ١٨٣).

معناه الدائمين، وهذا خلاف مراد الله تعالى، وهو مبطل للصلاة؛ لأن (الضلال) هو ضد (الهدى)... وبالظاء هو الدوام...

وقد حكى ابن جني في كتاب التنبيه وغيره: أن من العرب من يجعل الضاد ظاء مطلقا... وهذا غريب، وفيه توسع للعامة، ومنهم من لا يوصلها إلى مخرجها، بل يخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهملة، لا يقدرون على غير ذلك، وهم أكثر المصريين وبعض أهل المغرب، ومنهم من يخرجها لاما مفخمة، وهم الزيالع[أهل الحبشة] ومن ضاهاهم. واعلم أن هذا الحرف خاصة إذا لم يقدر الشخص على إخراجه من مخرجه بطبعه لا يقدر عليه بكلفة ولا بتعليم. (١٤٠).

ويقول ابن جني أيضا: واعلم أن الضاد للعرب خاصة، ولا يوجد من كلام العجم إلا في القليل. (١٤١)

وفي كتابه: (الفرق بين الضاد والظاء في كتاب الله عز وجل وفى المشهور من الكلام): يقول أبو عمرو الداني:" الضّاد مخرجها من حافة اللّسان، من أقصاها إلى ما يلي الأضراس. فمن النّاس من يخرجها من الجانب الأيمن، وهو الأقلّ. ومن النّاس من يخرجها من الجانب الأيسر، وهو الأكثر. ومخرجها كمخرجها من هذا سواء. ليس يخرج من موضعها غيرها، إلّا أنّ اللّام تخرج من حافة اللّسان، من أدناها إلى ما يلي الثنايا.

والضّاد مجهورة، والجهر: الإعلان، لأنّ الاعتماد قوي في موضعه، حتى منع التفشي أن يجري معه، فصارت بذلك رخوة، وهي أيضا مطبقة مستعلية، لأنّ اللّسان ينطبق بها على الحنك، ويعلو إلى جبهته. (١٤٢)

ويقول ابن الجزري: الضاد:... تخرج من المخرج الرابع من مخارج الفم، من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس، وهي مجهورة رخوة مطبقة مستعلية مستطيلة... وإذا تكررت هي، أو أتى بعدها ظاء، فلا بد من بيان كل واحد منهما وإخراجهما من مخرجها. (١٤٣)

وأما في نطقها المعاصر؛ فإن الضاد: تعد المقابل المفخم للدال، أي أنها صوت شديد مجهور مفخم، ينطق بنفس الطريقة، التي تنطق بها الدال، مع فارق واحد، هو ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق، في النطق بصوت الضاد. وعلى هذا فالضاد العربية هي المقابل المطبق للدال(١٤٤).

---

(١٤٠) التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري(ص١٣٠– ١٣٣).

(١٤١) سر صناعة الإعراب: ابن جني (١/ ٢٢٦).

(١٤٢) الفرق بين الضاد والظاء في كتاب الله عز وجل وفى المشهور من الكلام : أبو عمرو الداني (ص٣٢).

(١٤٣) التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، (ص ١٣٠– ١٣٣).

(١٤٤) المدخل إلى علم اللغة. د. رمضان عبد التواب (ص٤٦). ويفرق د. رمضان عبد التواب بين الضاد في نطقها القديم والضاد في نطقها الحديث: فيقول:" إذا نظرنا إلى وصف القدماء لها، من النحويين واللغويين وعلماء القراءات، عرفنا أن الضاد القديمة، تختلف عن الضاد التي ننطقها الآن، في أمرين جوهريين: **أولهما:** أن الضاد القديمة ليس مخرجها الأسنان واللثة، بل حافة اللسان أو جانبه. **وثانيهما:** أنها لم تكن انفجارية "شديدة"، بل كانت صوتا احتكاكيا "رخوا". فقد

فالضاد: إذن كما يقول د. عبد الله ربيع: صوت (لثوي، أسناني، مغلق، مطبق، مهتز) وهو غير الضاد العربية القديمة التي ليست مغلقة انفجارية، بل هي احتكاكية أو رخوة تخرج من أول حافة اللسان وما يليه، كما يفهم من أوصاف السابقين لها(١٤٥).

والتبادل بين الضاد والظاء كثير في كلام العرب: جاء في المزهر للسيوطي:"... كلُّ العرب تقول: فاضت نفسه بالضاد إلا بني ضبة فإنهم يقولون: فاظت نفسه بالظاء... وفي الجمهرة: الحُضُض ويقال الحُضَض ويقال الحُظُظ والحُظَظ: (صَمْغ نحو الصَّبر والمرّ وما أشبههما). وفي كتاب الفرق للبطليوسي: حَظِلت النَّخْلة وحضِلَت: إذا فَسدت أصول سَعَفها وسمعت ظَباظِب الخيل وضَباضِبَها: أصواتها وجَلَبتها والعظ والعض: شدة الحرب وشدة الزمان ولا تستعمل الظاء في غيرها. والأرْظُ والأَرْض: قوائم الدابة والأشهر فيه الضاد.

ويروى أن رجلا قال لعمرَ بن الخطاب: ما تقولُ في رجل ظحى بضبي فعجب عُمرُ ومَنْ حَضَره من قوله فقال: يا أمير المؤمنين إنها لغة- وكسر اللام- فكان عجبُهم من كسره لام لغة أشد من عجبهم من قَلْب الضاد ظاء والظاء ضادا. (١٤٦)

من هنا كان تنبيه القرطبي على مراعاة نطق الضاد حينما تلتقي بالزاي والظاء، حتى لا تتحول إلى ظاء، نظرا لصعوبة هذا الصوت على اللسان.

(الزاي) وما قد يعتريها عند مجاورتها (التاء أو الدال).

يقول القرطبي: "الزاي: إذا سكنت وبعدها تاء أو دال في مثل: قوله تعالى:(**مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ**) [التوبة:٣٥] وقوله: (**تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ**) [هود:٣١]... فأحسن تخليص الزاي مع التاء لئلا تصير سينا؛ لأن السين تشارك التاء في الهمس وتقرب من الزاي في المخرج والصفير، فربما أذهب همس التاء جهر الزاي فتحولت سينا، واجهر بالدال لئلا تعود تاء؛ لأنها إنما أبدلت من التاء

عدها الخليل بن أحمد، في حيز الجيم والشين، وهما من الأصوات الغارية، فقال وهو يذكر أحياز الحروف: "ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد". العين: (١/ ٥٨). كما يقول سيبويه: "ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد": كتاب سيبويه (٤/ ٤٣٣). ويوضح ذلك "المبرد" فيقول: "الضاد ومخرجها من الشدق، فبعض الناس تجري له في الأيمن، وبعضهم تجري له في الأيسر". المقتضب: (١/ ١٩٣). كما يقول ابن جني: "ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر": سر صناعة الإعراب: (١/ ٦٠).

يتضح من هذه النصوص، **الفرق الأول** بين الضاد القديمة والضاد التي ننطقها الآن، وأنها كانت جانبية، وليست أسنانية لثوية. **أما الفرق الثاني**، وهو أنها لم تكن انفجارية، بل احتكاكية أو رخوة، فيتضح من قول سيبويه في تقسيم الحروف: "ومنها الرخوة وهي: الهاء والحاء والغين والخاء والشين والصاد والضاد والزاي والسين والظاء والثاء والذال والفاء". كتاب سيبويه (٤/ ٤٣٥). ينظر: المدخل إلى علم اللغة. د. رمضان عبد التواب (ص ٦٣).

(١٤٥) ينظر: علم الصوتيات، د/ عبدالعزيز أحمد علام ، د/ عبدالله ربيع محمود (ص ١٣٧).

(١٤٦) المزهر في علوم اللغة: السيوطي (١/ ٤٣٨).

لوقوع التاء بين حرفين مجهورين فخفيت وضعفت؛ فأبدلت بالدال لقوتها ومشاركتها التاء في المخرج؛ ليكون العمل من موضع واحد مع القوة، فما لم تبين الدال بالجهر رجع ما كره من ضعف التاء" (١٤٧).

يشير القرطبي إلى أن الزاي قد تتأثر من مجاورتها التاء أو الدال؛ فتتحول إلى سين بتأثير الهمس الذي في التاء، وأيضا قد تتحول الدال إلى تاء، لأنهما من مخرج واحد، ولوقوعها بين الزاي والراء.

وإلى هذا يشير مكي ابن أبي طالب أيضا بقوله: "وإذا أتى بعد الزاي الساكنة دال أو تاء وجب أن تبين لفظ الزاي؛ لئلا يقرب لفظها من لفظ السين؛ لأن السين مؤاخية للتاء في الهمس ومؤاخية للزاي في المخرج والصفير، وكذلك الدال من مخرج التاء؛ فالبيان للفظ الزاي في ذلك واجب... (١٤٨)

والزاي: صوت رخو مجهور مرقق... ونظير الزاي المفخم، لا وجود له في العربية الفصحى، وإن وجد في العامية، في ذلك الصوت الذي يحل محل الظاء العربية أحيانا، في مثل: ظلم زلم، ونحوه.

وأما السين: فإنها نظير الزاي المهموس، وهذا معناه أنه صوت رخو مهموس مرقق، لا يفترق عن الزاي في نطقه، إلا في أن الأوتار الصوتية تهتز مع الزاي، ولا تهتز معه. (١٤٩)

يقول ابن الجزري: الزاي:... مجهورة رخوة منفتحة مستفلة صفيرية... فإذا سكنت وجب بيانها مما بعدها وإشباع لفظها، وسواء لقيت حرفاً مهموساً أو مهجورا.

وأما السين: فمخرجها... مخرج الزاي، وهي مهموسة رخوة منفتحة مستفلة صفيرية، ولولا الهمس الذي فيها لكانت زاياً، ولولا الجهر الذي في الزاي لكانت سينا، فاختلافهما في السمع هو بالجهر الهمس(١٥٠).

والتبادل بين الزاي والسين أمر وارد، وذلك لأن السين تخرج من مخرج الزاي... فهي أخت الزاي في المخرج والصفير، لكن السين أضعف من الزاي؛ لأن الزاي حرف مجهور، والسين حرف مهموس، ولولا الهمس الذي في السين لكانت زايا. كذلك لولا الجهر الذي في الزاي لكانت سينا؛ إذ اشتركا في المخرج والصفير والرخاوة والانفتاح والتسفل، وإنما اختلفا في الجهر والهمس... فباختلاف هاتين الصفتين افترقا في السمع(١٥١).

(الجيم) وما يعتريها إذا جاورتها (التاء أو الحاء أو الهاء أو الزاي أو السين).

يقول القرطبي:"الجيم: إذا سكنت ووليتها تاء في مثل قوله تعالى: **(فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ)** [الحج:٣٠]. **(فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ)** [القلم:٥٠]. وما أشبه ذلك يجب حسن التأني في تخليص الجيم من شائبة الشين؛ لأن الشين قريبة المخرج من مخرج الجيم، ومؤاخية التاء في الهمس؛ فصار اللسان أسرع إليها، أما الجيم فإنها

(١٤٧) الموضح في التجويد (ص ١٨٣).
(١٤٨) الرعاية، مكي بن أبي طالب (ص٢١٠).
(١٤٩) المدخل إلى علم اللغة. د. رمضان عبد التواب (ص ٤٧).
(١٥٠) التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، (ص ١٢٦).
(١٥١) الرعاية ، مكي بن أبي طالب (ص٢١١).

مجهورة من التاء، ووجب الجهر بها لتؤمن فيها هذه الشائبة.

وكذلك مع الحاء في مثل قوله تعالى :(**يَجْحَدُونَ)** [الأنعام:٣٣]، **(وَمَا يَجْحَدُ)** [العنكبوت:٤٧]؛ لأن الحاء مهموسة؛ فيتعين حفظ الجيم من الشين، وكذلك مع الراء في مثل قوله تعالى: **(تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا)** [القمر:١٤] و **(زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ)** [النازعات:١٣]... لمشابهة الراء الشين في الاستطالة والسعة وقرب الشين من الجيم، ومنهم من حض مع الدال على مثل ذلك في **(أَجْدَرُ)** [التوبة:٩٧] و **(لَتَجِدَنَّ)** [المائدة:٨٢]، وشبهه.

وكذلك الجيم إذا سكنت ووليتها هاء في مثل: قوله تعالى: **(يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)** [الأنعام:٥٢]، وقوله **(وَجْهِيَ لِلَّذِي)** [الأنعام:٧٩]؛ فبين خفاء الهاء؛ لئلا تنقلب شينا؛ لقرب الشين من مخرج الجيم ومشاركتها الهاء في الهمس، فربما صار اللفظ بها مثل اللفظ: (بوشهي)، وذلك قبيح لا يجوز.

الجيم إذا سكنت وبعدها زاي أو سين، أو جاءت هي بعد السين والزاي؛ فأسكن الجيم إذا كانت ساكنة، وأحسن تخليص السين وإلا صارت زايا، والزاي لئلا تخرج سينا، وذلك للقرب بينهما، مثل قوله تعالى: **(وَلِلَّهِ يَسْجُدُ)** [الرعد:١٥]، **وَ(الْمَسْجِدِ)** [الحج:٢٥]، **وَ(الرُّجْزَ)** [المدثر:٥]، و**(الرِّجْسَ)** [الأنعام:١٢٥]، **(يُزْجِي)** [الإسراء:٦٦]... وما أشبه ذلك. وكذلك اجهر بالجيم لئلا تصير سينا، وأخلصها لتتماز من الزاي؛ فإن الزاي بالزاي، والسين أشبه من الجيم لأن الجيم فيها شدة، والسين والزاي فيهما رخاوة، فربما مال اللسان إلى مفارقة الشدة، بصيرورة الجيم زايا ليكون العمل في حرفين رخوين"[١٥٢].

وهنا يشير القرطبي إلى أن الجيم إذا جاورتها التاء أو الحاء أو الهاء فإنها قد تتحول إلى شين، وذلك للقرب في المخرج، وكذلك إن جاورتها الزاي أو السين، فإنها قد تتحول إلى سين أو زاي تخلصا من الشدة فيها، وميلا للسان إلى الرخاوة التي في الزاي والسين.

والجيم تخرج من مخرج الشين، وهي حرف قوي للجهر الذي فيها والشدة، فإذا سكنت الجيم وبعدها زاي وجب أن يتحفظ بإظهار الجيم، نحو قوله تعالى: **(رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ)** [العنكبوت:٣٤] **(وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ)** [المدثر:٥]... وشبهه.[١٥٣]

وصوت الجيم:... صوت مجهور يجمع بين الشدة والرخاوة، ويسمى بالصوت المزودج. ويتم نطقه بأن يرتفع مقدم اللسان، في اتجاه الغار فيلتصق به، وبذلك يحجز وراءه الهواء الخارج من الرئتين، ثم لا يزول هذا الحاجز فجأة، كما في الأصوات الشديدة، وإنما يتم انفصال العضوين ببطء، فيترتب على ذلك أن يحتك الهواء الخارج بالعضوين المتباعدين، احتكاكا شبيها بالاحتكاك الذي نسمع صوته، مع الشين المجهورة "ج"؛ وعلى ذلك تعد هذه الجيم في الحقيقة: صوت دال مغور، يعقبه صوت شين مجهور.[١٥٤]

ويقول أبو عمر الداني: الجيم: وهو حرفٌ مجهور، فإذا أتى ساكناً وبعده زاي أو سين

---

(١٥٢) الموضح في التجويد (ص ١٨٣– ١٨٥).

(١٥٣) الرعاية ، مكي بن أبي طالب (ص١٧٦).

(١٥٤) المدخل إلى علم اللغة. د. رمضان عبد التواب (ص٥١، ٥٢).

فينبغي أن يبين جهوره، وإلا اندغم، وينبغي أن يخلص الزاي والسين بعده بتؤدة، وإلا انقلبت الزاي سيناً والسين زياً، وذلك في نحو قوله تعالى: : **(رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ)** [العنكبوت:٣٤] **(وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ)** [المدثر:٥]... وما أشبهه.

وكذلك ينبغي أن يتعمل بيانه عند التاء والحاء والدال، ومتى لم يفعل ذلك صار شيناً لما بين التاء والشين من الهمس، ولمؤاخاة التاء الدال في المخرج، وذلك في نحو قوله: **(فَاجْتَبَاهُ)** [القلم:٥٠]... وما أشبهه.(١٥٥)

ويبدو أن بعض قبيلة تميم، كانوا ينطقون شينا مهموسة، بدلا من الجيم، قال الجوهري: " وأَشاءَه لُغَةٌ فِي أَجاءه أَي أَلْجَأَه. وَتَمِيمٌ تَقُولُ: شَرٌّ مَا يُشِيئُكَ إِلَى مُخَّةِ عُرْقُوبٍ أَي يُجِيئُك. قَالَ زُهَيْرُ ابن ذُؤَيْبٍ الْعَدَوِيُّ:

فَيَالَ تَمِيمٍ صابِرُوا، قَدْ أُشِئْتُمُ ... إِلَيْهِ، وكُونُوا كالمُحَرِّبة البُسْل(١٥٦)

كما يقول ابن جني: "قال الراجز:

إذ ذاك إذ حبل الوصال مدمش

أي: مدمج، فالشين، بدل من الجيم".(١٥٧)

(التاء): وما قد يعتريها من مجاورتها حروف الإطباق أو السين أو الدال.

يقول القرطبي:" التاء: إذا جاورت حرفا من حروف الإطباق فبين همسها وأحسن تخلصها من الإطباق وإلا صارت طاء في مثل قوله تعالى: **(فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ)** [يونس:٢٤]، **(مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ)** [الإسراء:٦٤]، **(وَلَا تُطِعْ)** [الكهف:٢٨]، **(وَلَا تُظْلَمُونَ)** [البقرة:٢٧٩]، **(حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ)** [محمد:٤]... وكذلك **(أَعْرَضْتُمْ)** [الإسراء:٦٧]، و**(خُضْتُمْ)** [التوبة:٦٩]... وشبهه.

وذلك لأن التاء من مخرج الطاء، وإنما تمتاز الطاء بالإطباق، فإذا جاورها إطباق شابتها شائبة الطاء لذلك، ويقرب من ذلك أيضا ما إذا جاء بعد التاء قاف في مثل: قوله تعالى **(وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى)** [الليل:١٧]، و**(رَتْقًا)** [الأنبياء:٣١]... فإنه يخاف عليها أن تشوبها الطاء؛ لما قدمناه من أن الاستعلاء نظير الإطباق.

وكذلك إذا سبقته سين وعقبه حرف مجهور مثل: **(نَسْتَعِينُ)** [الفاتحة:٥] و **(الْمُسْتَقِيمَ)** [هود:١٦]. وما أشبه ذلك. وكذلك إذا جاورت التاء الدال في مثل قوله تعالى: **(الْمُهْتَدِينَ)** [التوبة:١٨]، و**(الْمُعْتَدِينَ)** [يونس:٧٤]... وما أشبه ذلك، وجب أن يحفظ على التاء همسها، وعلى الدال جهرها؛ لأن الدال مع قرب المخرج تجذب التاء إلى الجهر؛ فتقرب إلى الدال" (١٥٨).

وهنا يشير القرطبي: إلى أن التاء قد تتحول إلى طاء من مجاورتها حروف الإطباق، وكذلك قد تتحول إلى دال إن جاورت السين أو الدال.

وهذا التحول سببه الصوتي أن التاء: تخرج من مخرج الطاء والدال... وهي حرف متوسط في القوة والضعف؛ لأنه مهموس شديد؛ فالهمس

---

(١٥٥) التحديد: أبو عمرو الداني (١/ ١٣٣).

(١٥٦) الصحاح: الجوهري (٥٩/١).

(١٥٧) سر صناعة الإعراب (٢١٧/١)، وينظر: المدخل إلى علم اللغة. د. رمضان عبد التواب (ص ٥١ ، ٥٢).

(١٥٨) الموضح في التجويد (ص ١٨٥، ١٨٦).

ضعفه والشدة قوته؛ فهو بين ذينك، ولولا الهمس الذي فيه لكان دالا، كذلك الدال لولا الجهر الذي فيه لكان تاء؛ إذ المخرج واحد وقد اشتركا في الشدة والتسفل والانفتاح. (١٥٩)

أما عند اللغويين المحدثين؛ فالتاء: نظير الدال المهموس، أي أنها صوت شديد مهموس مرقق... وأما الطاء: فهي كما ينطق بها اليوم، تقابل التاء في الترقيق، والتفخيم، أي أنها صوت شديد مهموس مفخم... أما الدال: فإنها صوت شديد مجهور مرقق...(١٦٠)

يقول أبو عمرو الداني: التاء: حرفٌ مهموسٌ... وإذا اجتمع مع حروف الإطباق في كلمة، فيلزم تعمل بيانه وتخليصه من لفظة الطاء، وإلا انقلب طاء، كقوله تعالى: **(فَاخْتَلَطَ)** [يونس:٢٤]... و**(فَإِنِ اسْتَطَعْتَ)** [الأنعام:٣٥]... وما أشبهه. وإن سبقت الطاء التاء خلص صوت الطاء، وإلا صار تاء، نحو**(فَرَّطْتُ)** [الزمر:٥٦] و**(أَحَطْتُ)** [النمل:٢٢]... وشبهه...

وكذلك إن جاء ساكناً قبل القاف تعمل بيانه وتخليصه، وإلا انقلب طاء لما بين القاف والطاء من الاشتراك في الجهر والاستعلاء، وذلك نحو قوله: **(كَانَتَا رَتْقًا)** [الأنبياء:٣٠]، و**(الْأَتْقَى)** [الليل:١٧]... وشبهه.

وكذا إن وقع قبله سين وبعده حرف مجهور؛ فينبغي أن يخلص ويبين ويمنع من الإطباق، لئلا يصير طاء، كقوله تعالى: **(نَسْتَعِينُ)** [الفاتحة:٥]، و**(الْمُسْتَقِيمَ)** [هود:١٦]... وما أشبهه (١٦١).

(العين) وما قد يعتريها عند مجاورتها حرفا من حروف الهمس.

يقول القرطبي: "العين: إذا سكنت ووليتها حروف الهمس وجب أن تخلص وتحاط عن انقلابها حاء؛ لما بين هذه الحروف وبين الحاء من الاشتراك في الهمس، وقرب العين من الحاء في المخرج، وذلك في مثل قوله تعالى: **(يَوْمِ الْبَعْثِ)**[الروم:٥٦]، **(وَلَا تَعْثَوْا)**[البقرة:٦٠]... **(فَاعْتَرَفُوا)**[الملك:١١]... **(وَمَنْ يَعْشُ)** [الزخرف:٣٦]... **(وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ)**[الجن:٢٣]...**(أُمَتِّعُكُنَّ)** [الأحزاب:٢٨].. **(فَاعْتِلُوهُ)** [الدخان:٤٧] ... وما أشبه ذلك"(١٦٢).

وهنا يشير القرطبي إلى أن العين عند مجاورتها حرفا من حروف الهمس فإنها قد تتحول إلى حاء، وذلك لتأثير الهمس الذي في هذه الحروف، واشتراك العين في المخرج مع الحاء.

والعين والحاء مخرجهما واحد وهو الحلق: والعين صوت رخو مجهور مرقق. وأما الحاء: فهي النظير المهموس للعين، وهذا معناه أنه صوت رخو مهموس مرقق (١٦٣).

يقول مكي بن أبي طالب: ولولا الجهر الذي في العين لكانت حاء، وقد قال الخليل بن أحمد:

---

(١٥٩) الرعاية ، مكي بن أبي طالب (ص ٢٠٤).

(١٦٠) المدخل إلى علم اللغة. د. رمضان عبد التواب (ص ٤٦).

(١٦١) التحديد في الإتقان والتجويد: أبو عمرو الداني (١/ ١٤١، ١٤٢).

(١٦٢) الموضح في التجويد (ص١٨٦).

(١٦٣) المدخل إلى علم اللغة. د. رمضان عبد التواب (ص ٥٥).

لولا بحة في الحاء لأشبهت العين[١٦٤] يريد في اللفظ؛ إذ المخرج واحد والصفات متقاربة، ولهذه العلة لم يتألف في كلام العرب عين وحاء في كلمة أصليتان... إلا بحاجز بينهما.[١٦٥]

ويقول ابن الجزري: والعين تخرج من الحلق من قبل مخرج الحاء، وهي مجهورة بين الشدة والرخاوة، منفتحة مستفلة، فإذا لفظت بها فبين جهرها، وإلا عادت حاء، إذ لولا الجهر وبعض الشدة لكانت حاءً، كذلك لولا الهمس والرخاوة اللذان في الحاء لكانت عيناً[١٦٦].

ويقول: أبو عمرو الداني: إن التقى [العين] بالثاء والفاء والتاء والشين والصاد وسائر حروف الهمس خلص وبُين، وإلا ربما انقلب حاء، لما بين الحاء وبينهن من المشاركة في الهمس، نحو قوله تعالى: **(يَوْمِ الْبَعْثِ)** [الروم:٥٦]...و**(أَعْثَرْنَا)**[الكهف:٢١]... وشبهه. [١٦٧].

(الغين) وما يعتريها عند مجاورتها حرفا من حروف الهمس، أو(العين، أو الهاء).

يقول القرطبي:" وكذلك الغين إذا سكنت وبعدها شيء من حروف الهمس في مثل قوله تعالى: **(فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ)** [المائدة:٦]. **(فَأَغْشَيْنَاهُمْ)** [يس:٩]. **(مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ)** [ص:٤٢]. **(يَغْفِرْ لَكُمْ)** [الأحقاف:٣١]. **(بِيَدِكَ ضِغْثًا)** [ص:٤٤]. وما أشبه ذلك. وجب أن يؤتى بها بألطف ما يمكن لتخلص من شائبة الخاء؛ لقرب الغين من الخاء، ومشاركة هذه الحروف في الهمس، سيما مع الشين في مثل: قوله تعالى: **(فَأَغْشَيْنَاهُمْ)** [يس:٩] **(وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ)** [نوح:٧]. فإن ذلك أوقع في الشائبة، فنبه عليه من أجله" [١٦٨].

ويقول:" كذلك الغين إذا سكنت وجاء بعدها عين في مثل قوله تعالى: **(أَفْرِغْ عَلَيْنَا)** [البقرة:٢٥٠]. لئلا تصير خاء لمشاركة الغين الخاء في الاستعلاء، وكذلك مع الهاء في مثل قوله تعالى: **(أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ)** [التوبة:٦]؛ لئلا تنقلبا خاء مشددة لمشاركتها الغين في الاستعلاء، وقربها من الهاء بالهمس، ومتى أنعمت النظر في هذا القدر وقفت به على ما هو أكثر منه من ميل بعضها إلى بعض" [١٦٩].

وهنا يشير القرطبي إلى أن الغين قد تتحول إلى خاء عند مجاورتها حرفا من حروف الهمس؛ وذلك لقرب الغين من الخاء، ومشاركة هذه الحروف في الهمس، وأما مع العين، والهاء، فلأن الغين تشارك الخاء في الاستعلاء، ولقربها من الهاء بالهمس.

والغين: صوت رخو مجهور مرقق... وأما الخاء: فإنها النظير المهموس للغين، وهذا معناه أنها صوت رخو مهموس مرقق، لا يفترق في طريقة نطقه عن الغين، إلا في أن الأوتار الصوتية، لا تهتز معه، وتهتز مع الغين.[١٧٠]

---

(١٦٤) العين (١/ ٥٧). ونصه: ولولا بَحَّة في الحاء لأَشْبَهَت العْيَن لقُرْب مَخْرَجها.

(١٦٥) الرعاية ، مكي بن أبي طالب (ص ١٦٤).

(١٦٦) التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، (ص ١٣٦).

(١٦٧) التحديد في الإتقان والتجويد: أبو عمرو الداني (١/ ١٢٨).

(١٦٨) الموضح في التجويد (ص ١٨٧).

(١٦٩) الموضح في التجويد (ص ١٨٨).

(١٧٠) المدخل إلى علم اللغة. د. رمضان عبد التواب (ص ٥٤).

يقول: مكي بن أبي طالب: الغين: تخرج من مخرج الخاء وبعدها... والغين حرف مجهور فهو أقوى من الخاء وكلاهما من حروف الاستعلاء، ومن الحروف الرخوة، ولولا ما بينهما من الجهر والهمس لكانت الخاء غينا؛ إذ المخرج واحد والصفات متقاربة. (١٧١)

ويقول أبو عمرو الداني: الغين: حرف مجهورٌ، مستعلٍ، وإن أتى بعده قاف، أو سين، أو شين، أو تاء، أو ثاء، أو فاء، فينبغي أن ينعم بيانه ولا يتساهل في ذلك، فربما انقلب مع الحروف المذكورة غير القاف خاء؛ لما بين الخاء وبينهن من الاشتراك في الهمس، واندغم في القاف للمقاربة التي بينهما، كقوله تعالى: **(رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا)** [آل عمران:٩]، و**(فَاغْسِلُوا)** [المائدة:٦] و**(يَسْتَغْشُونَ)** [هود:٦]... وشبهه.(١٧٢)

والتبادل بين الغين والخاء موجود في كلام العرب، ينقل ابن السكيت عن الفراء: يقال عنق غطريف وخطريف أي واسع... وحكى عن بعضهم: أرى دجلة قد زغرت يريد زخرت، إذا جاءت بالماء الكثير، وحكي: خط يخط في معنى غط يغط... (١٧٣)

(الخاء) وما قد يعتريها عند مجاورتها (الشين أو التاء).

يقول القرطبي:" الخاء إذا سكنت وبعدها شين أو تاء في مثل قوله تعالى : **(وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ)** [الأعراف:١٥٥].. **(وَيَخْتَارُ مَا كَانَ)** [القصص:٦٨]... **(أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ)** [التوبة:١٣] . وجب حمايتها عن شائبة الغين؛ لما بين الخاء والغين من المؤاخاة في الاستعلاء، وفرار النطق من الجمع بين مهموسين الشين والخاء"(١٧٤).

يشير القرطبي هنا إلى أن الخاء إذا جاورتها شين أو تاء فإنها قد تتحول إلى غين؛ لما بين الخاء والغين من المؤاخاة في الاستعلاء، ويوضح السبب الصوتي في ذلك، وهو فرار النطق من الجمع بين مهموسين (الشين والخاء).

وسبق أن ذكرنا أن الغين والخاء مخرجهما واحد، وأن الغين: صوت رخو مجهور مرقق... وأما الخاء: فإنها النظير المهموس للغين. وهذا معناه أن الخاء صوت رخو مهموس مرقق.

يقول أبو عمرو الداني: الخاء: حرف مهموس، مستعلٍ، وحكمه في إنعام البيان والتخليص حكم الغين... فإن التقى بالشين أو التاء تعمل بيانه، وإلا ربما انقلب غيناً، كقوله: **(وَلَا تَخْشَى)** [طه:٧٧]، و**(مُخْتَلِفٌ)** [فاطر:٢٧]، و **(أَنْ تَخْشَاهُ)** [الأحزاب:٣٧] ... وما أشبهه.(١٧٥)

(حروف الحلق) وما قد يعتريها عند مجاورة بعضها بعضا.

يقول القرطبي:" حروف الحلق إذا تجاورت ساكنة أو متحركة وجب تخليص بعضها من

(١٧١) الرعاية ، مكي بن أبي طالب (ص ١٦٩).
(١٧٢) التحديد في الإتقان والتجويد: أبو عمرو الداني (١/ ١٢٩).
(١٧٣) القلب والإبدال: ابن السكيت، (ص٩).
(١٧٤) الموضح في التجويد (ص ١٨٧).
(١٧٥) التحديد في الإتقان والتجويد: أبو عمرو الداني (١/ ١٣٠).

شائبة بعض، وإفراد كل حرف منها بمزيته وصفته الخاصة به؛ لئلا يدخل بعضها على بعض، وذلك في مثل قوله تعالى: **(زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ)** [آل عمران:١٨٥].. **(وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ)** [النساء:٤٦] . **(لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ)** [طه:٩١].. **(مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ)** [القصص:٥٠] .. **(وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ)** [النور:٢١].. **(فَأَصْبَحَ هَشِيمًا)** [الكهف:٤٥] .. **(الْمَسِيحُ عِيسَى)** [النساء:١٧١] .. **(وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ)** [المائدة:١٣] .. **(أَفْرِغْ عَلَيْنَا)** [الأعراف:١٢٦]. سيما إذا سكنت العين ووليتها الهاء في مثل قوله تعالى: **(فَلَا تُطِعْهُمَا)** [العنكبوت:٨].. **(كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا)** [لقمان:٧] **(لَا تُطِعْهُ)** [العلق:١٩] وما أشبه ذلك، لأن العين والهاء تنقلبان ها هنا حاء مشددة ؛لأن همس الهاء يقلب العين حاء، وقرب الحاء من العين يقلب الهاء حاء؛ فراعه أتم المراعاة" (١٧٦).

يقول مكي بن أبي طالب: الحروف الحلقية، وهي ستة: العين والحاء، والهاء والخاء، والغين والهمزة. فهذه الحروف تخرج من الحلق، نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه وهو الحلق، فقال فيهن: حلقية.(١٧٧)

ويتحدث أبو عمرو الداني عن حروف الحلق وتأثير بعضها في بعض فيقول: الهاء: وهي حرفٌ خفيٌ، مهموسٌ... إن وقع بعدها حرف من حروف الحلق، نحو قوله: **(إِنَّ اللَّهَ عَلَى)** [البقرة:٢٠] ، و**(مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)** [الحج:٧٤]، و **(آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا)** [النمل:٥٩]... وما أشبهه. (١٧٨)

ويقول: العين: وهو حرف مجهور... إن التقى بشيء من حروف الحلق، نحو قوله: **(وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ)** [الشورى:١٥]... و**(فَاتَّبِعْهَا)** [الجاثية:١٨]... و**(لَا تُطِعْهُ)** [العلق:١٩]، و**(وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ)** [النور:٢١]، **(وَيَتَّبِعْ غَيْرَ)** [النساء:١١٥]... وما أشبهه.(١٧٩)

ويقول: الحاء: وهو حرف مهموس، فإذا التقى بشيء من حروف الحلق، ساكناً كان أو متحركاً، خلص وبُيِّن، [لشبهه بها]، كقوله: **(لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ)** [القصص:٧٦]... و**(فَاصْفَحْ عَنْهُمْ)** [الزخرف:٨٩] **(وَسَبِّحْهُ لَيْلًا)** [الإنسان:٢٦]... وما أشبهه.(١٨٠)

ويقول: الغين: وهو حرف مجهورٌ، مستعلٍ، فإن التقى بشيء من حروف الحلق أنعم بيانه وتكلف إشباعه وتخليصه، من غير شدةٍ ولا تعسفٍ، وذلك نحو قوله تعالى: **(رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا)** [البقرة:٢٥٠]، **(ثُمَّ أَبْلِغْهُ)** [التوبة:٦]... وما أشبهه. (١٨١)

ويتحدث ابنُ دريد عن السبب الصوتي في تأثر حروف الحلق بعضها ببعض عندما تتجاور؛ فيقول:" وَاعْلَم أَن الْحُرُوف إِذا تقاربت مخارجها كَانَت أثقل على اللِّسَان مِنْهَا إِذا تَبَاعَدت، لِأَنَّك إِذا اسْتعْملت اللِّسَان فِي حُرُوف

(١٧٦) الموضح في التجويد (ص ١٨٨).
(١٧٧) الرعاية، مكي بن أبي طالب (ص ١٣٨).

(١٧٨) التحديد في الإتقان والتجويد: أبو عمرو الداني (١/ ١٢٥).
(١٧٩) السابق (١/ ١٢٧).
(١٨٠) السابق (١/ ١٢٨).
(١٨١) السابق (١/ ١٢٩).

الْحلق دون حُرُوف الْفَم وَدون حُرُوف الذلاقة كلفته جرسا وَاحِدًا وحركات مُخْتَلفَة؛ أَلا ترى أَنَّك لَو ألفت بَين الْهمزَة وَالْهَاء والحاء فَأمكن، لوجدت الْهمزَة تتحول هَاء فِي بعض اللُّغَات لقربها مِنْهَا، نَحْو قَوْلهم فِي أم وَالله: هم وَالله، وكما قَالُوا فِي أراق: هراق المَاء؛ و لوجدت الْحَاء فِي بعض الْأَلْسِنَة تتحول هَاء.(١٨٢)

ويرى ابن جني: أن حروف الحلق:" إن جمع بين اثنين منها يقدم الأقوى على الأضعف نحو: أهل وأحد وأخ وعهد، وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلا بتقديم الأقوى منها.(١٨٣)

(الظاء) وما قد يعتريها عند مجاورتها للفاء.

يقول القرطبي:" الظاء: إذا قاربتها الفاء في مثل قوله تعالى: **(مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ)** [الفتح:٢٤]. وجب تخليصها وحمايتها عن شائبة الثاء؛ لما بين الفاء والثاء من الاشتراك في الهمس، مع قرب مخرج الظاء من الثاء، فاعرفه".(١٨٤)

وبهذا يشير القرطبي إلى أن الظاء إذا جاورت الفاء فإنها قد تتحول إلى ثاء؛ والسر في ذلك أن الثاء تشترك صفة مع الفاء في الهمس، كما تشترك مخرجا مع الظاء.

وقد سبق أن ذكرنا أن (الظاء والثاء والذال) مخرجها واحد، وقد عدها الخليل حروفا لثوية، وتابعه عدد من اللغويين وعلماء التجويد. يقول مكي بن أبي طالب: الحروف اللثوية وهي ثلاثة: الظاء والثاء والذال سماهن الخليل بذلك لأنه نسبهن إلى اللثة؛ لأنهن يخرجن منها، واللثة : اللحم المركب فيه الأسنان. (١٨٥)، بينما عدها اللغويون المحدثون أصواتا أسنانية.(١٨٦)

وذكر السيوطي أن:" أقل ما يستعملون على ألسنتهم لِثقلها؛ الظاء ثم الذال ثم الثاء". (١٨٧)

يقول أبو عمرو الداني:" والظاء:... حرفٌ مجهورٌ، مستعلٍ، مطبقٌ... إن التقى بالفاء خلص وبين، وإلا انقلب ثاء، للاشتراك الذي بين الفاء وبين الثاء في الهمس، وذلك في قوله: **(أَنْ أَظْفَرَكُمْ)** [الفتح:٢٤]... (١٨٨)

ويعلق د. تمام حسان على الظاء التي كالثاء الواردة في حديث سيبويه عن حروف غير مستحسنةٍ ولا كثيرةٍ في لغة من ترتضي عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر(١٨٩)، يقول:" ولم نر مثالًا لها في كتاب سيبويه, ولكن النظر إلى الفارق بين الظاء والثاء يوضح أنهما يختلفان من وجهتين؛ أولاهما: الجهر والهمس, والثانية: التفخيم والترقيق, فإذا أشبهت الظاء الثاء فسيكون معنى ذلك أنها فقدت إما الجهر وإما التفخيم، وإما هما معًا. ولقد جاء ابن عصفور بمثال لهذا الصوت

---

(١٨٢) جمهرة اللغة لابن دريد (١ / ٤٦)، وينظر: المزهر للسيوطي (١/ ١٥٢، ١٥٣).

(١٨٣) الخصائص لابن جني (١/ ٥٥) ، وينظر : دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر (ص١٩٧).

(١٨٤) الموضح في التجويد(ص ١٨٨، ١٨٩).

(١٨٥) الرعاية، مكي بن أبي طالب (ص١٤٠).

(١٨٦) ينظر ص ( ) من هذا البحث.

(١٨٧) المزهر (١/ ١٥٥).

(١٨٨) التحديد في الإتقان والتجويد: أبو عمرو الداني (١/ ١٤٣).

(١٨٩) الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٣٢).

فقال: إن كلمة "ظالم" تصير "ثالم", ونحن قادرون على أن نفهم من مثاله هذا، أن الظاء فقدت جهرها وهمست كهمس الثاء, أما التفخيم فمن الصعب في هذا المثال أن نقرر أن الظاء فقدته أو احتفظت به؛ لأن الكتابة العربية لا تصطنع رموزًا للدلالة على التفخيم والترقيق, ومن ثَمَّ لا نستطيع الجزم بأن "ثالم" السابق ذكرها مفخَّمة "الظاء" أو مرققتها".(١٩٠)

اجتماع القاف والكاف متحركتين.

يقول القرطبي:" إذا اجتمعت القاف والكاف متحركتين في مثل: قوله تعالى: **(خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)** [الأنعام:١٠٢]. و**(كُلٌّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ)** [الشعراء:٦٣]، فبين استعلاء القاف لئلا تشوبها الكاف بهمسها لقرب المخرج" (١٩١).

ويقول القرطبي في موضع آخر:" القاف والكاف: متقاربان في المخرج، وهما من الحروف الشديدة، ومن حروف الاستعلاء، إلا أن القاف مجهور والكاف مهموس، فاجهر بالقاف طاقتك، وأحسن تخليص أحدهما من الآخر، سيما إذا اجتمعا في مثل: قوله تعالى: **(خَلَقَكَ)** [الانفطار:٧] و**(خَلَقَكُمْ)** [البقرة:٢١]"(١٩٢).

ويعد كثير من اللغويين الأوائل وعلماء التجويد (القاف والكاف) من مخرج واحد، وهو اللهاة.(١٩٣)؛ يقول مكي بن أبي طالب: الحروف اللهوية: وهما حرفان: القاف والكاف. سماهما الخليل بذلك لأنه نسبهما إلى الموضع الذي يخرجان منه وهو اللهاة. واللهاة ما بين الفم والحلق.(١٩٤)، يقول الخليل: والقاف والكاف لَهَوِيتانِ، لأنَّ مَبْدَأهُما من اللهَاة. (١٩٥)

وبعض العلماء يعتبرون اللهاة جزءا من أقصى الحنك، وينسبون هذا المخرج إلى أقصى اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى، ويجعلون مخرج الكاف من أقصى اللسان مما يلي مخرج القاف وما يحاذيه من الحنك الأعلى.(١٩٦)

ويصف اللغويون المحدثون (القاف)، بأنها صوت لهوي شديد مهموس، أما اللغويون الأوائل فإنهم يصفونها بأنها مجهورة(١٩٧)، يقول مكي: ولولا الجهر والاستعلاء اللذان في القاف لكانت كافا، كذلك لولا الهمس والتسفل اللذان في الكاف؛ لكانت قافا لقرب مخرجيهما... (١٩٨).

---

(١٩٠) اللغة العربية معناها ومبناها (ص ٥٦).
(١٩١) الموضح في التجويد (ص ١٨٩).
(١٩٢) الموضح في التجويد (ص ١١٧).

(١٩٣) ينظر: التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، (ص ٨٤). الرعاية، مكي بن أبي طالب (ص ١٣٩). مقدمة في علم أصوات العربية د. البركاوي (ص ٩٨).
(١٩٤) الرعاية، مكي بن أبي طالب (ص ١٣٩).
(١٩٥) العين (١ / ٥٨).
(١٩٦) مقدمة في علم أصوات العربية د. البركاوي (ص ٩٨).
(١٩٧) ينظر: المدخل إلى علم اللغة. د. رمضان عبد التواب (ص٧٩). مناهج البحث في اللغة. د. تمام حسان (ص٩٧)، علم اللغة العربية: د. محمود فهمى حجازى (ص٣٠١)، دراسات في علم اللغة. د: كمال بشر:(ص٦٤)، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د: محمود السعران: (ص١٣١).
(١٩٨) الرعاية، مكي بن أبي طالب (ص ١٧٣).

ويرى بعض اللغويين أن هذا الاختلاف في نطق القاف قديما وحديثا يعد من التغييرات التاريخية في العربية القديمة [١٩٩]، ويرى بعضهم أن هذا الصوت كان يشبه إلى حد كبير، تلك القاف المجهورة التي نسمعها الآن بين القبائل العربية في السودان، وجنوب العراق، فهم ينطقون بها نطقا يخالف نطقها في معظم اللهجات العربية الحديثة؛ إذ نسمعها منهم نوعا من الغين. [٢٠٠].

ونرى أن وصف القدماء للقاف بالجهر يرجع إلى ما يعتري هذا الصوت من صفة زائدة وهي القلقلة، خاصة في حالة السكون، وبسبب هذا الصويت الإضافي (القلقلة) كما يقول د. السعران: تنتقل هذه الأصوات الانفجارية من "السكون" إلى "شبه الحركة". فتصبح شبيهة شيئا ما "بالحروف المتحركة". ومعروف أن ما يعرف في الاصطلاح العربي "بالحرف المتحرك" هو صوت صامت يتلوه صوت صائت قصير. من هذا نرى أن الصوت الإضافي في حالة "حروف القلقلة" يشبه "بالحركة" أي بالصائت القصير، ومن البديهيات أن الصوائت مجهورة. [٢٠١]. من هنا راعى القدماء القلقلة عندما وصفوا القاف بالجهر، بينما لم يراعها المحدثون.

(١٩٩) بحوث ومقالات في اللغة: د. رمضان عبد التواب: (ص ٩).

(٢٠٠) المدخل إلى علم اللغة. د. رمضان عبد التواب (ص ٧٩).

(٢٠١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د: محمود السعران : (ص ١٣٥).

يقول مكي بن أبي طالب: وإذا وقعت الكاف بعدها (أي القاف) أو قبلها وجب بيانها لئلا يشوبها شيء من لفظ الكاف لقربها منها، أو يشوب الكاف شيء من لفظ القاف نحو: **(خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)** [الأنعام:١٠٢]. و**(كُلٌّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ)** [الشعراء:٦٣]... وشبهه.[٢٠٢]

ويذكر ابن فارس صوتا قريبا من هذا؛ فيقول: مثلُ الحرف الَّذِي بَيْنَ القاف والكاف والجيم –وهي لغة سائرة فِي اليمن– مثل: "جَمَل" إِذَا اضطرُّوا قالوا: "كَمَل".[٢٠٣]

اجتماع الشين والجيم.

يقول القرطبي:" إذا اجتمعت الشين والجيم في مثل قوله تعالى: **(إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ)** [الدخان:٤٣]. **(فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ)** [النساء:٦٥]. فَبِّين الشين جهدك؛ لأنهما أختان في المخرج، إلا أن الجيم أقوى للشدة والجهر، والشين أضعف للرخاوة والهمس"[٢٠٤].

ينبه القرطبي في هذا الموضوع على بيان الشين ما أمكن لئلا تتحول إلى جيم؛ لتأثرها بشدة الجيم وجهرها.

ويعد اللغويون الجيم والشين من الحروف الشجرية؛ يقول ابن الجزري: الشجرية، وهي ثلاثة أحرف: الجيم والشين والضاد، سمين بذلك؛ لأنهن نسبن إلى الموضع الذي يخرجن منه، وهو مفرج الفم، قال الخليل: الشجر مفرج

(٢٠٢) الرعاية، مكي بن أبي طالب (ص ١٧١).

(٢٠٣) الصاحبي في فقه اللغة: أحمد بن فارس: (٣٠).

(٢٠٤) الموضح في التجويد (ص١٨٩).

الفم، أي مفتحه، وقال غيره: الشجر مجمع اللحيين عند العنفقة. (٢٠٥)

ويعدها اللغويون المحدثون أصواتا لثوية حنكية أو (غارية) نسبة إلى الغار؛ وهو المنطقة الواقعة بين مقدم اللسان وما يحاذيه من مقدم الحنك واللثة العليا. (٢٠٦)

والجيم: مجهورة شديدة منفتحة مستفلة مقلقلة.(٢٠٧)، وأما الشين: مهموسة رخوة منفتحة مستفلة متفشية.(٢٠٨)، يقول مكي بن أبي طالب: وإذا وقع بعد الشين جيم وجب أن تبين الشين؛ لئلا تقرب من لفظ الجيم؛ لأنها أختها ومن مخرجها، لكن الجيم أقوى منها؛ لأنها مجهورة شديدة، وذلك نحو قوله: **(فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ)** [النساء:٦٥]... وشبه ذلك. (٢٠٩)

ويعلق د. تمام حسان على الشين التي كالجيم الواردة في حديث سيبويه عن حروف غير مستحسنةٍ ولا كثيرةٍ في لغة من ترتضي عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر(٢١٠). يقول: وهي الشين المجهورة التي تشبه صوت الجيم في اللهجة السورية واللبنانية, فكان الناطقون بهذه الشين من العرب يجعلون كلمة أشدق كأنها أجدق, ومثل هذا ما نسمعه في لهجة القاهريين في كلمات مثل الأشغال والأشجار. (٢١١)

<u>(الطاء) وما يعتريها عند مجاورتها (الفاء والسين).</u>

يقول القرطبي:" الطاء إذا سكنت قدام الفاء، مثل قوله تعالى: **(مِنْ نُطْفَةٍ)** [النحل:٤]. **(لِيُطْفِئُوا)** [الصف:٨]. فينبغي أن ينعم بيان إطباق الطاء لئلا ترجع تاء؛ لما بين التاء والفاء من الاشتراك في الهمس، مع مشاركة التاء للطاء في المخرج، وكذلك بعد السين، مثل قوله: **(فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا)**، [العاديات:٥]؛ لأن همس السين يجذب الطاء إلى التاء" (٢١٢).

ينبه القرطبي هنا إلى بيان إطباق الطاء لئلا يتغير الصورت بالمجاورة.

وقد أطلق اللغويون على الطاء والدال والتاء، اسم (الحروف النطعية) [بكسر النون وفتحها] سموا بذلك؛ لأنهن يخرجن من نطع الغار الأعلى، وهو سقفه، فنسبن إليه. (٢١٣).

وعدها المحدثون أصواتا أسنانية لثوية، وتخرج عند اتصال طرف اللسان بأصول الأسنان واللثة العليا. (٢١٤)

---

(٢٠٥) التمهيد لابن الجزري (ص٨٤)، والرعاية، مكي بن أبي طالب (ص١٣٩).

(٢٠٦) ينظر: مقدمة في علم أصوات العربية د. عبد الفتاح البركاوي (ص٩٨). وينظر المدخل إلى علم اللغة. د. رمضان عبد التواب (ص ٧٩).

(٢٠٧) التمهيد لابن الجزري (ص ١١٥).

(٢٠٨) السابق (ص ١٢٨).

(٢٠٩) الرعاية، مكي بن أبي طالب (ص١٧٥). وينظر: التمهيد لابن الجزري (ص ١٢٨).

(٢١٠) الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٣٢).

(٢١١) اللغة العربية معناها ومبناها (ص ٥٤).

(٢١٢) الموضح في التجويد (ص ١٨٩).

(٢١٣) ينظر : العين للخليل: (١/ ٥٨) ، التمهيد لابن الجزري (ص ٨٥). و الرعاية، مكي بن أبي طالب (ص١٤٠)

(٢١٤) ينظر: مقدمة في علم أصوات العربية د. عبد الفتاح البركاوي (ص١٠٣). وينظر المدخل إلى علم اللغة. د. رمضان عبد التواب (ص ٤٦).

وسبق أن ذكرنا أن التاء عند المحدثين: صوت شديد مهموس مرقق... وأما الطاء: فهي كما ينطق بها اليوم، تقابل التاء في الترقيق، والتفخيم، أي أنها صوت شديد مهموس مفخم... ولا فرق بينهما إلا في أن مؤخرة اللسان، ترتفع نحو الطبق عند الطاء، ولا ترتفع نحوه في نطق التاء.[٢١٥]

أما عند اللغويين الأوائل فهو صوت مجهور، يقول مكي بن أبي طالب: الطاء من أقوى الحروف؛ لأنه حرف مجهور شديد منطبق مستعل، وهذه الصفات كلها من علامات قوة الحرف مع انفرادها، فإذا اجتمعت في حرف كملت قوته[٢١٦].

ويرجع المحدثون هذا إلى التطور الصوتي الذي لحق صوت الطاء.[٢١٧]

ونرى أن سر الخلاف في جهر الطاء وهمسها بين القدماء والمحدثين يكمن- كما ذكرنا قبل ذلك عن القاف- في أن القدماء راعوا حركة القلقلة عندما وصفوا الطاء والقاف بالجهر، بينما لم يراعها المحدثون. [٢١٨].

يقول د. كمال بشر وهو يتحدث عن سبب وصف القدماء للهمزة بالجهر: لعلهم وصفوا الهمزة متبوعة بحركة، فأحسوا الجهر بسبب وجود الحركة؛ إذ الحركات العربية كلها – عادة- مجهورة. [٢١٩]

ويعلق د. تمام حسان على الطاء التي كالتاء الواردة في حديث سيبويه عن حروف غير مستحسنةٍ ولا كثيرةٍ في لغة من ترتضي عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر[٢٢٠] فيقول: ولم يمثِّل سيبويه لهذه الطاء أيضًا... والمعروف أن التفخيم والترقيق هو أوضح ما يفرق بين الطاء والتاء الآن, فإذا أشبهت الطاء التاء فقدت تفخيمها, وقد مثَّل ابن عصفور لهذا الصوت بكلمة "طال" التي تصير إلى صورة "تال". [٢٢١]

(٢١٥) ينظر المدخل إلى علم اللغة. د. رمضان عبد التواب (ص ٤٦).

(٢١٦) الرعاية، مكي بن أبي طالب (ص ١٩٨). وينظر: التمهيد لابن الجزري (ص ١٣٣).

(٢١٧) ينظر المدخل إلى علم اللغة. د. رمضان عبد التواب (ص ٤٦). مناهج البحث في اللغة، د: تمام حسان (ص٩٤).

(٢١٨) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د: محمود السعران: (ص ١٣٥). كما ينظر: دراسات في علم اللغة. د. كمال بشر (ص ٦٥).

(٢١٩) دراسات في علم اللغة. د. كمال بشر (ص ٦٥)

(٢٢٠) الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٣٢).

(٢٢١) اللغة العربية معناها ومبناها (ص ٥٦).

خاتمة:

من خلال معايشتنا لهذا البحث يمكن الخروج بعدد من النتائج والملاحظات، منها:

أولا: عاصر عبد الوهاب القرطبي عددا كبيرا من العلماء الذين ظهروا في القرن الخامس الهجري، سواء في علم التجويد، أم في علوم اللغة، أم في غيرها من العلوم. ولكنه لم ينل شهرة واسعة على الرغم من مكانته العلمية المتفردة.

ثانيا: أثنى على عبد الوهاب القرطبي عدد من العلماء؛ فقد كان– كما يقول الذهبي– من جلة المقرئين، ومن الخطباء المجودين؛ وكَانَتِ الرحلة إليه فِي القراءات. وولي خطابة قرطبة، وصنف "المفتاح" فِي القراءات.

ثالثا:كتاب الموضح وإن خصه مؤلفه ليكون كتابا في التجويد، لكنه لم يتناول أحكام التجويد في صورتها التقليدية، وإنما تعمق بشكل كبير في دراسة أصوات العربية بشكل عام؛ وفق منهج واضح المعالم، فلم يترك شيئا من موضوعات علم الأصوات النطقي– بالتعبير المعاصر – إلا أورده ووضحه وعلله واستشهد عليه.

رابعا: على الرغم من وجود عدد من البحوث التي تناولت كتاب الموضح، فإنها لم تتناول كل الجوانب الصوتية التي احتشد بها الكتاب، والذي ما زال ميدانا خصبا للدراسة البحثية المتعمقة؛ للوقوف على إشاراته وآرائه وقضاياه الصوتية المتأصلة، التي تُجلي كثيرا من المسائل والقضايا الصوتية بشكل عام، والمتعلقة بتلاوة القرآن الكريم، وأحكامه التجويدية بشكل خاص.

خامسا: تحدث اللغويون العرب عن تجاور الأصوات تحت مسميات مختلفة، وعالجوا موضوع التجاور الصوتي من كل جوانبه وآثاره، كما لاحظوا أن اللغات تختلف في ذلك، وما قد يتلاءم مع أمة ربما لا يتلاءم مع أمة أخرى، ولاحظوا أيضًا أن الأذن العربية قد تستسيغ أصواتًا معينة لا يستسيغها غيرها، وأن اللسان العربي قد ينطق بتركيب خاص لا ينطق به لسان غيره.

سادسا: خصص عبد الوهاب القرطبي بابا من أبواب كتابه للحديث عمَّا يعرض للحروف من أحكام عند ائتلافها وتركبها ألفاظا– على حد تعبيره– وتحدث عن نظرية التأليف التي تحدث عنها اللغويون، وقسمها إلى ثلاثة أنواع: أولها: متعذر ممتنع، وثانيها: ممكن ولكنه منبوذ مستكره، وثالثها: ممكن وهو مستحسن مستعمل، ثم بيَّن أن حديثه منصب على النوع الثالث، وأشار إلى الآثار الناشئة من تجاور الأصوات وائتلافها.

سابعا: كان واضحا لدى علماء التجويد أن الأصوات إذا تجاورت في الكلمة المفردة، أو في الكلام المتصل، تعرضت صفاتها للتغير الجزئي أو الكلي إذا نطق بها متصلة، وذلك بحسب طبيعة الصوت وما يجاوره.

ثامنا: عالج عبد الوهاب القرطبي ما يعرف حديثا بالمماثلة الجزئية– تحت مسمى (شوائب الحروف)، وكانت هذه المسألة هي محور كتاب الموضح، وكان الهدف منها هو التنبيه على الأخطاء أو الشوائب التي يمكن أن تنتج بسبب هذا التجاور، وكان هذا هو هدف علماء التجويد عموما؛ وكان هدفهم من وراء دراسة هذه الظاهرة، هو ضبط النطق، وتدريب آلة النطق على التلاوة الصحيحة للقرآن الكريم، والمحافظة

على نطق الأصوات في حالتها التركيبية نطقا مستقيما دون خلط أو انحياد.

تاسعا: استخدام القرطبي لمصطلح (شوائب الحروف)– إضافة إلى انفراده بهذا المصطلح– جاء موفقا ودقيقا إلى حد بعيد؛ حيث إن الصوت بالتجاور لا يماثل الصوت الآخر مماثلة تامة، وإنما يحدث له نوع من التشوه والشوب، الذي يجعله يميل إلى الصوت المجاور دون أن يماثله كلية، فهو صوت مختلط بين الصوتين.

عاشرا: استخدم القرطبي هذا المصطلح ليدل على معنى خاص يتعلق بصفات الحروف التي يمكن أن تؤثر في الأصوات المجاورة؛ فالصوت المجهور يمكن أن يؤثر في الصوت المهموس، والصوت المطبق يمكن أن يؤثر على الصوت المنفتح. ولم يكن عبد الوهاب القرطبي الوحيد بين علماء التجويد الذي عالج موضوع الشوائب؛ على الرغم من انفراده بالمصطلح. وتكاد معظم الحالات التي رصدها علماء التجويد في موضوع الشوائب تندرج في الظواهر الصوتية التي لا يقرها الاستخدام اللغوي، خاصة عند تلاوة القرآن الكريم؛ واعتنى بها علماء التجويد حرصا منهم على تقديم صورة النطق الصحيح، وتوضيح ما يمكن أن يشوب ذلك النطق من شوائب الانحراف، بسبب تجاور الحروف في الكلام المتصل، وميلها إلى التماثل والاقتصاد.

حادي عشر: من آثار التجاور الصوتي الذي عالجه عبد الوهاب القرطبي تحت مسمى (شوائب الحروف) ما يلي:

- (اللام) المرققة قد تكتسب التفخيم بسبب مجاورتها (لام) لفظ الجلالة، وكذلك إذا جاورت حرفا من حروف الاستعلاء أو الإطباق.
- (السين) عند مجاورتها حرفا من حروف الإطباق أو الاستعلاء، أو مجاورتها (الراء) المفخمة، قد تتحول إلى (الصاد).
- (الصاد) إن كانت ساكنة وجاء بعدها الطاء؛ فقد تتحول إلى سين، وتتحول الطاء إلى تاء، وكذلك إن جاء بعدها تاء؛ فإنها أيضا قد تتحول إلى سين، وتتحول التاء إلى طاء، وكذلك إن جاءت ساكنة قبل دال، فإنها قد تتحول إلى زاي.
- (الدال) إن جاءت قبل الخاء والحاء والجيم والقاف والراء والفاء وأمثالهن، فقد تتحول إلى تاء، وكذلك إن جاءت بعد الصاد، فقد تتحول إلى طاء.
- (الذال) قد تتحول إلى (ظاء) إن جاورت الراء المفخمة، أو القاف، أو اللام المفخمة، كما أنها قد تتحول إلى (ثاء) إن جاورت الكاف أو العين.
- (الضاد) إذا جاورتها الذال، فإنها قد تتحول إلى ظاء، وكذلك إذا جاورتها ظاء.
- (الزاي) قد تتأثر من مجاورتها التاء أو الدال؛ فتتحول إلى سين، وأيضا قد تتحول الدال إلى تاء.
- (الجيم) إذا جاورتها التاء أو الحاء أو الهاء فإنها قد تتحول إلى شين، وكذلك إن

جاورتها الزاي أو السين، فإنها قد تتحول إلى سين أو زاي تخلصا من الشدة فيها، وميلا للسان إلى الرخاوة التي في الزاي والسين.

- (التاء) قد تتحول إلى طاء بسبب مجاورتها حروف الإطباق، وكذلك قد تتحول إلى دال إن جاورت السين أو الدال.

- (العين) عند مجاورتها حرفا من حروف الهمس فإنها قد تتحول إلى حاء.

- (الغين) قد تتحول إلى خاء عند مجاورتها حرفا من حروف الهمس.

- (الخاء) إذا جاورتها شين أو تاء فإنها قد تتحول إلى غين؛ لما بين الخاء والغين من المؤاخاة في الاستعلاء.

- (حروف الحلق) إذا جاور بعضها بعضا؛ فإنها قد تتحول فيما بينها، خاصة العين مع الهاء؛ فإنها قد تتحول إلى حاء؛ لأن همس الهاء يقلب العين حاء، وقرب الحاء من العين يقلب الهاء حاء.

- (الظاء) إذا جاورت الفاء فإنها قد تتحول إلى ثاء؛ والسر في ذلك أن الثاء تشترك صفة مع الفاء في الهمس، كما تشترك مخرجا مع الظاء.

- (القاف) والكاف إذا اجتمعتا متحركتين؛ فقد تتحول القاف إلى كاف تأثرا بالهمس الذي في الكاف. كذلك الشين والجيم إذا اجتمعتا فإن الشين قد تتحول إلى جيم، لتأثرها بشدة الجيم وجهرها.

- (الطاء) إن جاورت الفاء فإنها قد تتحول إلى تاء، وذلك لاشتراك الفاء والتاء في الهمس، واشتراك التاء والطاء في المخرج، وكذلك مع السين بتأثير الهمس الذي قد يجذب الطاء إلى التاء.

ولهذا كان كتاب القرطبي توضيحا لإعطاء كل حرف حقه ومستحقه؛ لئلا يقلب إلى غيره.

ثاني عشر: سر الاختلاف في جهر (الطاء والقاف) وهمسهما بين اللغويين القدماء والمحدثين يمكن إرجاعه إلى أن القدماء راعوا حركة القلقلة عندما وصفوا الطاء والقاف بالجهر، بينما لم يراعها المحدثون.

وفي النهاية نسأل الله عز وجل أن يرزقنا حسن العمل، ويجنبنا الخطأ والزلل، ويتجاوز عن السهو والنسيان.

وما توفيقي إلا بالله.

أهم مراجع البحث

١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، تحقيق: أنس مهرة: دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ.

٢) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي الشايب، عالم الكتب الحديث. إربد، الأردن. ٢٠٠٤م.

٣) الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس . مكتبة الأنجلو المصرية.

٤) الأعلام: خير الدين، الزركلي، دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر– مايو٢٠٠٢م.

٥) الإقناع في القراءات السبع، ابن البَاذِش، دار الصحابة للتراث.

٦) البحث اللغوي عند العرب: د أحمد مختار عمر الناشر: عالم الكتب الطبعة: الثامنة ٢٠٠٣م.

٧) بحوث ومقالات في اللغة: د. رمضان عبد التواب: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط: الثالثة ١٤١٥هـ–١٩٩٥م

٨) تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية.

٩) تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: شمس الدين الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.

١٠) التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو الداني، تحقيق: دكتور غانم قدوري حمد، مكتبة دار الأنبار– بغداد ساعدت جامعة بغداد على طبعه. الطبعة: الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٨م.

١١) تلمُّسُ أثر المماثلةِ في نموّ المعجم العربيّ: دراسةٌ صوتيّة معجميّة. دكتور مهدي أسعد عرار، بحث منشور بـ :مجلة مجمع اللغة العربية العدد (١٠١).

١٢) التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، تحقيق: الدكتور على حسين البواب: مكتبة المعارف، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

١٣) جمهرة اللغة: أبو بكر بن دريد ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

١٤) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الرابعة.

١٥) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، دار عمار. الأردن، ط: الثانية: ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م.

١٦) دراسات في علم اللغة : كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

١٧) دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد محتار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

١٨) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان– الأردن، ط: الثالثة: ١٤١٧هـ–١٩٩٦م،.

١٩) سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان الطبعة: الأولي ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م

٢٠) الصاحبي في فقه اللغة: أحمد بن فارس: محمد علي بيضون: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ–١٩٩٧م

٢١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : الجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.
٢٢) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: أبو القاسم ابن بشكوال، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني: مكتبة الخانجي، الطبعة: الثانية، ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م.
٢٣) علم الصوتيات، د/ عبدالعزيز أحمد علام، د/ عبدالله ربيع محمود، مكتبة الرشد. ناشرون، المملكة العربية السعودية. الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
٢٤) علم اللغة العربية: د. محمود فهمى حجازي: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٥) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د: محمود السعران: دار الفكر العربي: طبعة٢ – القاهرة ١٩٩٧م.
٢٦) العين: الخليل بن أحمد، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي: دار ومكتبة الهلال.
٢٧) غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين ابن الجزري، مكتبة ابن تيمية: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجشتراسر.
٢٨) الفرق بين الضاد والظاء في كتاب الله عز وجل وفى المشهور من الكلام: أبو عمرو الداني المحقق: حاتم صالح الضّامن: دار البشائر– دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م.
٢٩) القلب والإبدال: ابن السكيت.(المكتبة الشاملة).
٣٠) الكتاب: سيبويه تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م،
٣١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، مكتبة المثنى– بغداد.
٣٢) اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان: عالم الكتب ط: الخامسة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٣٣) المخصص: ابن سيده، تحقيق: خليل إبراهم جفال: دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
٣٤) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. د: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط: الثالثة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م
٣٥) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
٣٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي: المكتبة العلمية – بيروت.
٣٧) معجم البلدان ياقوت الحموي: دار صادر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.
٣٨) معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ: محمد محمد محمد سالم محيسن، دار الجيل– بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.
٣٩) معجم علم الأصوات، د. محمد على الخولي، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٤٠) معرفة القراء الكبار: شمس الدين الذهبي، دار الكتب العلمية ط: الأولى١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٤١) المقتضب: المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة: عالم الكتب – بيروت.
٤٢) مقدمة في علم أصوات العربية. د. عبد الفتاح البركاوي. ط: الثالثة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.
٤٣) من أعلام الدرس الصوتي في القرن الخامس الهجري، عبد الوهاب بن محمد القرطبي، د. حقي عبد الرازق الصالحي، بحث منشور بمجلة المورد العراقية، العدد الثالث ٢٠٠٦م.
٤٤) مناهج البحث في اللغة، د: تمام حسان: مكتبة الأنجلو المصرية.
٤٥) موت الألفاظ في العربية: عبد الرزاق بن فراج الصاعد الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة التاسعة والعشرون. العدد السابع بعد المائة. (١٤١٨/١٤١٩هـ).
٤٦) الموضح في التجويد، عبد الوهاب بن محمد القرطبي، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط: الأولى،١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٤٧) النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع: المطبعة التجارية الكبرى.
٤٨) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: شهاب الدين التلمساني، تحقيق: إحسان عباس: دار صادر- بيروت- لبنان.

فهرس الموضوعات

مقدمة.....
التمهيد.
عبد الوهاب القرطبي وكتابه الموضح في التجويد
أولا: عبد الوهاب القرطبي: حياته ومكانته العلمية.....
ثانيا: كتاب الموضح ومكانته في الدرس الصوتي.....
المبحث الأول
التجاور بين الأصوات وآثاره الصوتية
المماثلة الصوتية:.....
المبحث الثاني
(شوائب الحروف) ومعالجة عبد الوهاب القرطبي لآثار التجاور الصوتي
(اللام المرققة) وما قد يعتريها من تفخيم بسبب مجاورتها (اللام المفخمة) (في لفظ الجلالة) أو حروف (الإطباق والاستعلاء).....
(السين): وما قد يعتريها لمجاورتها حرفا من حروف (الإطباق أو الاستعلاء أو الراء المفخمة).....
(الصاد): وما قد يعتريها بسبب مجاورتها مع (الطاء والتاء والدال).....
(الدال) وما قد يعتريها عند مجاورتها (الخاء والحاء والجيم والقاف والراء والفاء والصاد).....
(الذال): وما قد يعتريها بسبب مجاورتها مع الراء المفخمة والكاف والقاف واللام المفخمة والعين...
(الضاد) وما قد يعتريها بسبب مجاورتها مع (الذال أو الظاء).....
(الزاي) وما قد يعتريها عند مجاورتها (التاء أو الدال).....
(الجيم) وما يعتريها إذا جاورتها (التاء أو الحاء أو الهاء أو الزاي أو السين).....
(التاء): وما قد يعتريها من مجاورتها حروف الإطباق أو السين أو الدال.....
(العين) وما قد يعتريها عند مجاورتها حرفا من حروف الهمس.....
(الغين) وما يعتريها عند مجاورتها حرفا من حروف الهمس، أو(العين أو الهاء).....
(الخاء) وما قد يعتريها عند مجاورتها (الشين أو التاء).....
(حروف الحلق) وما قد يعتريها عند مجاورة بعضها بعضا.....
(الظاء) وما قد يعتريها عند مجاورتها للفاء.....
اجتماع القاف والكاف متحركتين.....
اجتماع الشين والجيم.....
(الطاء) وما يعتريها عند مجاورتها (الفاء والسين).....
خاتمة:.....
أهم مراجع البحث.....
فهرس الموضوعات.....